تصريح بلفور

(دراسة تحليلية لمدلول النص ، في ضوء الحقائق التاريخية)

د/ رياض محمود الأسطل*

Abstract

A Profound study on The Balfour Declaration

The Balfour Declaration needs more and more profound studies. It is a matter of much interest and importance to note that The Balfour Declaration has its special effect, from 1917 up till now, on the transactions of the Middle East Problem,. The subject, we are going into, discusses, profoundly, the aims and motives which were behind both of The British Government and of The Zionist Federation attitudes. It then, reads loudly the external and the internal meaning of The Balfour Declaration, and concentrates on the considerations of the colonization mechanisms, the seeds of the partition decision, the ignorance of the Palestinian political rights, and so on.

ملخص

يحتاج تصريح بلفور إلى مزيد من الدراسات المتأنية، رغم كل ما كتب عنه، فهو بالغ الأهمية، ولا زال يؤثر في مجريات الأحداث إلى يومنا هذا. ونظراً لتشعب هذا الموضوع وتعدد زواياه، فإن هذا البحث قد ركز على الأسباب والدوافع التي أدت إلى صدوره، وعلى تحليل مضامينه السياسية ، في ضوء الحقائق التاريخية. وقد تبين من خلال البحث، أنه قد كان لكل من بريطانيا والحركة الصهيونية أهدافها الخاصة التي دفعت كلاً منها إلى الجلوس على طاولة المفاوضات والاتفاق على صيغة التصريح، كما نراها اليوم. فبريطانيا كانت ترغب في التأثير على الساحة الدولية، وفي الانتفاع بموقع فلسطين الاستراتيجي، وتود الانفراد بالسيطرة عليها، وتعمل على تمزيق الصف العربي، وتسعى لاستغلال الحركة الصهيونية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً . أما الحركة الصهيونية فكان من أهدافها ـ هي الأخرى ـ أن تستثمر المشروع الاستعماري، وأن تستغل نفوذ الدول الكبرى لصالح المشروع الاستيطاني الصهيوني وإقامة الدولة اليهودية. ويحلل البحث ـ أيضاً ـ نص التصريح تحليلاً سياسياً جديداً، عارضاً لأهم أفكاره، ومنها سياسة الإقصاء و الإحلال، وبذور التقسيم، والطابع العنصري في الصياغة، وما اشتمل عليه من المغالطات التاريخية، إلى غير ذلك من الأفكار .

---

* أستاذ مساعد ـ قسم التاريخ بجامعة الأزهر ـ غزة

تصريح بلفور

(دراسة تحليلية لمدلول النص ، في ضوء الحقائق التاريخية)

قد يعتقد البعض أن تصريح بلفور [١] من الموضوعات التي قتلت بحثاً ، وأنها من الموضوعات التي نضجت إلى حد الاحتراق ، على حدِّ تعبير بعض الأقدمين ؛ و ذلك بناء على تكرار بعض التعبيرات المحفوظة منذ أمد ، من مثل : (وعد من لا يملك ، لمن لا يستحق) [٢] ، و (وعد شعب أعطى شعباً ثانياً أرضاً أو وطناً لشعب ثالث) [٣] . . إلخ . إن مثل هذا الانطباع يثير فضول المهتمين و يشكل حافزاً قوياً على معاودة البحث و الدرس و التحليل . فكم من العلوم و المعارف التي ظَنَّ الناس أنها اكتملت بما لا يسمح لمزيد ، ثم اكتشفنا أنها لم تكن كذلك على الإطلاق ! .

إنني أعتقد أن هذا الموضوع من الموضوعات التي لا تَخلَق مع كثرة الرد ! . ولا يعود ذلك إلى إعجاز في صياغته ، بقدر ما يعود إلى طبيعة تلك الصياغة التي تتميز بالغموض المقصود ، و التعتيم المتعمد . و إذا نظرنا إلى هذا الموضوع ، بنظرة أكثر عمقاً ، وجدناه ـ كما كان دائماً ـ لا يزال مثار جدل و أخذ و ردٍّ و خلاف ، و تفسير متجدد[٤] ، و أنه ما زال يؤثر في مسار الأحداث إلى يومنا هذا . و أن له ارتباطاته الواشجة مع كثير من جوانب الحياة السياسية في تاريخنا المعاصر ، كما أن له آثاره العميقة ، و ندوبه الغائرة في تاريخ العلاقات بين الشرق العربي و الغرب الأوربي ، وفي تاريخ المنظمات

---

(١) نسبة إلى آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨ – ١٩٣٠) و هو سياسي بريطاني رأسَ الوزارة البريطانية عند مطالع القرن العشرين ، م تولى وزارة الخارجية للويد جورج منذ سنة ١٩١٧ م .

(٢) بيان نويهض الحوت : فلسطين القضية ـ الشعب ـ الحضارة ، دار الاستقلال ، بيروت ١٩٩١م ، ص ٤٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٤) Leonard Stein , The Balfour Declaration , London ,1961 ,PP 617 – 618 .

الدولية التي تبنته بطريقة غير قانونية ، و منحته من الشرعية الدولية ما وصم تلك الشرعية ، بكثير من عار المؤامرة السياسية ، ولا أخلاقية السلوك السياسي الاستعماري.

و مما يؤكد أننا لا زلنا بحاجة ، لمعاودة تناول هذا الموضوع ؛ أنه مرتبط بالسياسات العنصرية للحضارة الأوربية ، القائمة على دعامتي الإقصاء القهري ، والإحلال المبرمج ، والتي أثرت على تاريخ قارات أوربا و آسيا وأفريقيا وأمريكا ، على السواء . و جعلت من فلسطين و من الشعب العربي الفلسطيني أحد أهم ضحايا العنصرية و التمييز الطائفي و العرقي في التاريخين: الحديث والمعاصر . و يضاف إلى ذلك أنه مرتبط بفن الهندسة السياسية ، التي تنظم ، و تؤطر ، و تبين الطرق والوسائل ، التي يتم على أساسها اصطناع الدول الوظيفية . كما يتم على أساسها تطوير تلك الدول ، على حسب الحاجات المتجددة للدول الإمبريالية الصانعة. و لا أظننا نختلف في أن دولة إسرائيل قد أُعدت إمبريالياً ، بطريقة مرنة ؛ لتتمكن من القيام بكل الأدوار التي تُسند إليها . وأخيراً ، لا بدَّ من القول إن هذا التصريح قد أعد على أساس نظرية الغموض والبناء ، و التي تتعمد الصياغة الغامضة ؛ لتوظفها في اتجاهين متعاضدين ، ويكمل كل منهما الآخر . و هذان الاتجاهان هما: العمل على تهدئة الطرف أو الأطراف المستهدفة ، بصيغ و عبارات مقبولة ظاهرياً . وإتاحة الفرصة للطرف الأقوى ؛ ليتمكن من تفسير المتغيرات الإقليمية و الدولية بطريقة تخدم أهدافه و استراتيجياته العليا ، بطريقة تدريجية ، يمرر من خلالها ما كان مستعصياً على القبول، في بداية الأمر [٥] .

---

(٥) ليس من أهداف هذا البحث أن يتتبع المراحل التي مرت بها صياغة التصريح ، و إنما أراد أن يقف عند نصه النهائي ، على اعتبار أن هذا النص هو المعوّل و السند السياسي الذي انبنت عليه جملة سياسات الدول المعنية بفلسطين منذ ذلك الحين، سواء أكانت تلك العناية بالقبول أم بالرفض . و مهما يكن من أمر ، فإن دراسة تطور صياغة التصريح ، و علاقتها بتطور العلاقات الصهيونية البريطانية خاصة ، و العلاقات الصهيونية الأوربية على وجه العموم من القضايا الجديرة بالدراسة و البحث المستقل . لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع ، انظر : Lloyd George ;The Truth a bout the peace . Vol 2, P1136 and Chaim

و مما يؤكد ـ أيضاً ـ حاجتنا إلى معاودة دراسة التصريح مرة بعد مرة أنه قد صدر على يد الزعيم السياسي البريطاني الشهير آرثر جيمس بلفور ، وأن صدوره قد تأخر إلى أن جاءت حكومة لويد جورج [٦] ، و أنه قد جاء في ذروة اشتعال الحرب العالمية الأولى، و في ذروة التنافس البريطاني الفرنسي على التوسع الإقليمي ، و على السيطرة على بلاد الشام على وجه الخصوص ، و أن الفترة التي صدر فيها التصريح كانت حافلة بالتطورات المتلاحقة والغامضة في ذات الوقت ، و هي الفترة التي شكلت تحولاً جذرياً في مسيرة التاريخ الإنساني المعاصر .

و لا يفوتنا ـ في هذا المقام ـ أن نؤكد أن هذا التصريح قد عُرِّبَ خطأً بصيغة " وعد " فقيل : " وعد بلفور " ، مع أنه كان مجرد تصريح سياسي ، وقد نقل إلى الجهة المعنية على هيئة كتاب أو رسالة صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية ، ثم عُرِف في بريطانيا ، و في غيرها من الدول الغربية ، كما حُفظ في دور الأرشيف المعنية باسم " Balfour Declaration " [٧] . و من ثم فإن الأولى به أن يسمى " تصريح بلفور "، أو كتاب بلفور ، لا " وعد بلفور " ، كما هو شائع ، خطأً ، بين كثير من الساسة و العامة ، على السواء .

و قبل أن ندخل في قراءتنا المتأنية لهذا التصريح ، لا بدَّ من القول إننا سنركز على الأهداف العامة و الخاصة ، أو القريبة و البعيدة ، و على الدلالات السياسية للمفردات والجمل ، وعلى الكيفية التي تمت بها القراءة التاريخية لهذا التصريح ، بحيث تمت ترجمته واقعياً و عملياً ، بالطريقة التي أوصلت القضية الفلسطينية إلى ما

Weizmann; Treal and Error : The Autobiography of Chaim Weizmann New York ,Harper and Row ,1966 , P260 ..

(٦) لويد جورج ، ديفد : (١٨٦٣هـ–١٩٤٤م) سياسي بريطاني رأسَ الوزارة سنة ١٩١٧م وفي عهده صدر تصريح بلفور . كان رئيساً لحزب الأحرار ، و من أكبر المتعاطفين البريطانيين مع الحركة الصهيونية و المتعاونين مع زعيمها حاييم وايزمن .

(٧) Walter Laqueur (Editor); The Israel –Arab Reader ,P 17 .

وصلت إليه اليوم ، دون أن نخوض في كثير من الجوانب الأخرى ، التي تناولها عدد كبير من الباحثين ، بما لا يدع مجالاً لمجتهد جديد .

أهداف تصريح بلفور

كانت إنجلترا ـ على مدار التاريخ الحديث ـ من أكثر الدول حرصاً على الاحتفاظ بنفوذها القوي في فلسطين ؛ و ذلك لحماية مصالحها في مصر ، و لتأمين سيطرتها على قناة السويس و موانئ الشام ، والاحتفاظ بسيطرتها على الطرق التجارية البحرية بين الشرق و الغرب ، من جهة ، وعلى الطريق البري بين العراق و الشام ، باعتباره بوابة الاتصال بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند و الشرق الأقصى[٨] من جهة أخرى . . إلخ . وبناء على هذه المعطيات واصلت بريطانيا سياساتها التآمرية . حيث أجرت اتصالات سرية مع زعماء الحركة الصهيونية في العالم ، و على رأسهم حاييم وايزمن و دي روتشلد و هربرت صموئيل ، و غيرهم ، و الذين كانوا قد اتفقوا ، فيما بينهم ، في مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ م ، على السعي لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وقد تم ذلك بعلم و مباركة الولايات المتحدة الأمريكية [٩] ، و بقية الدول الإمبريالية ، التي كانت سياساتها تصب في هذا الإطار ، في الوقت الذي كانت تتفاوض فيه مع الشريف حسين من جهة ، و مع فرنسا و روسيا من [١٠] جهة أخرى .

وانتهى الأمر بصدور تصريح بلفور في ٢/١١/ ١٩١٧ م ، والذي ينص على تأييد و مساندة بريطانيا لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين ، شريطة ألاّ يمسّ ذلك بالحقوق

---

(٨) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب الفكرية ، ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص ٣٥١ . و على محمد علي : المرجع السابق ، ص١٢٩ . و حبيب قهوجي (إشراف) استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة ، ص ١٧ .

(٩) صبري جريس : تاريخ الصهيونية ، القدس ، ١٩٨٧ م ، جـ ١ ، ص ٢٨٦.

(١٠) إميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٩ .

الدينية و المدنية لغير اليهود في فلسطين ، و ألاّ تتأثر مكتسبات اليهود وحقوقهم السياسية في بلدانهم الأصلية [١١] .

و يلاحظ أن بريطانيا قد أصدرت هذا التصريح ـ على أساس مخالف لما ورد في رسائل التفاهم المتبادلة بين الشريف حسين و الحكومة البريطانية ، ممثلة بالسير هنري مكماهون ، ومخالف ـ أيضاً ـ لما ورد في اتفاق سايكس بيكو ، المقر من دول الحلفاء . وقبل أن تسيطر قواتها على لواء القدس بأكثر من شهر ، حيث احتل الإنجليز القدس في ١٩١٧/١٢/٩ م [١٢] . و مهما يكن من أمر ، فإن لبريطانيا أهدافها الخاصة ، التي كانت تسعى إلى تحقيقها من وراء هذه التصريح . و كذلك كان للحركة الصهيونية أهدافها ، التي تلتقي ، في كثير من جوانبها مع الأهداف البريطانية . و لما كان الأمر كذلك ، فإننا سنتناول أهداف كل طرف على حدة ، لكسب مزيد من الوضوح ، والدقة العلمية ، و عمق التحليل التاريخي و السياسي .

أولاً الدوافع و الأهداف البريطانية :

يمكننا أن نقسم الأهداف و الدوافع ، التي دفعت الحكومة البريطانية إلى إصدار تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ م ، إلى مجموعة من العوامل المتضافرة ، والمتفاوتة قوةً و تأثيراً ، على أصحاب القرار الجالسين في سدة الحكم البريطاني ، و ذلك على النحو التالي :

١. الأسباب و الدوافع الحربية:

كانت الدوافع العسكرية أحد أهم الأسباب التي دفعت بريطانيا إلى الإسراع في إصدار التصريح ، فقد كانت القوات البريطانية قد اجتازت سيناء ، و تقدمت نحو غزة ،

---

(١١) انظر نص التصريح في الملحق .

(١٢) تيسير جبارة ، الدكتور : دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م ، ص ٤٩ .

حيث واجهت صعوبات كبيرة أمام الجيش العثماني [١٣] ، قبل أن تتمكن من دخول المدينة ، و بات واضحاً أن احتلال فلسطين لن يكون سهلاً . ومن هنا اضطر الإنجليز أن يلجأوا إلى نفس السياسة التي اتبعها نابليون من قبل ، حين أراد أن يستعدي اليهود و يستنصر بهم في مواجهة أعدائه في عكا [١٤] . و مهما يكن من أمر ، فإن هذه العوامل قد أدخلت العلاقات البريطانية الصهيونية إلى طور التحالف العلني ، كما دفعتها إلى المراوغة والتهرب أو التنصل من ارتباطاتها السابقة (الاتفاقات و التفاهمات) التي أقامتها مع كل من الحلفاء والشريف حسين على السواء ، حيث رأت في هذا التحالف تأميناً لمصالحها ، وتقوية لموقفها الحربي ، و تمهيداً لانفرادها بالسيطرة على أرض فلسطين [١٥] .

و لا شك أن بريطانيا كانت تدرك تماماً ، أن أعداءها في الحرب العالمية الأولى كانوا يسعون للاستفادة من نشاط الحركة الصهيونية و توظيفها في الحرب لصالحهم . ومما يؤكد ذلك أن الصراع كان على أشده بين بريطانيا وكل من تركيا و ألمانيا حول اكتساب أهالي بلاد الشام ، و التأثير النفسي عليهم ، حيث يمكن القول ـ بعبارة أخرى ـ إن أهالي بلاد الشام قد تعرضوا لاستهداف نفسي و عقلي و حربي من كلا الطرفين المتصارعين ، فبريطانيا ورجال الشريف حسين يريدون أن يصرفوا أهالي الشام عن مناصرة الدولة العثمانية و عن الحرب في صفوف جيشها ، و ألمانيا و الدولة العثمانية تريدان أن يتمسك أهالي الشام بدعم دول المحور عسكرياً و اقتصادياً ، و ألا ينخدعوا بالدعاية البريطانية ـ الفيصلية المشتركة . و مهما يكن من أمر فقد كانت بريطانيا قد نجحت في استقطاب بعض المنظمات الصهيونية في فلسطين ، مثل منظمة " نيلي " الصهيونية الاستيطانية ، في حين كان قادة الشريف حسين قد أثروا على موقف الشعب

(١٣) جعل جمال باشا جنوب فلسطين خط الدفاع الأول عن بلاد الشام ، مما عزز صمودها .
(١٤) عبد الفتاح محمد العويسي : جذور القضية الفلسطينية، دار الحسن ، الخليل ، ص١٣٦ .
(١٥) صبري جريس : المرجع السابق ، جـ ١، ص ٢٨٠ .

العربي تأثيراً قوياً و دفعوهم إلى الانسلاخ من صفوف الجيش العثماني بطريقة تمردية تحمل كثيراً من مظاهر العصيان الحربي . وفي المقابل كانت الدولة العثمانية و ألمانيا قد نجحتا في الاحتفاظ بولاء بعض المنظمات الصهيونية الأخرى المقيمة في فلسطين ، و منها منظمة " هاشومير " القائمة على المهاجرين الجدد ، و بخاصة من روسيا القيصرية [١٦]، و التي كانت تنادي بالحصول على الجنسية العثمانية والانخراط في صفوف الجيش العثماني [١٧] . و هكذا أصبح استقطاب يهود فلسطين جزءاً من الصراع الحربي المباشر على أرض بلاد الشام . و قد انتهى الأمر بموافقة بريطانيا على تشكيل كتائب يهودية خاصة تعمل في صفوف جيشها لصالح دول الحلفاء . و هكذا رأت بريطانيا في إصدار ذلك التصريح وسيلة من وسائل خلخلة الجبهة الداخلية لدى دول المحور ، بل لدى الدولة العثمانية على وجه الخصوص ، و تفويتاً لخطر ثغرة حربية، يمكن أن تستغلها دول المحور [١٨] استغلالاً يضر بالموقف الحربي البريطاني، و يحرمها من فرصة السيطرة على بلاد الشام ، و إن لم يكن كذلك ، فإن من المرجح أن إهمال بريطانيا لهذا الجانب سيعرقل تقدمها العسكري في بلاد الشام ، و سيجعل مهمة السيطرة الحربية عليها قضية بالغة الصعوبة و التعقيد .

و مما يتصل بهذا الأمر أن بلاد الشام كانت ميداناً فسيحاً للمواجهة الحربية ، وأن القوات البريطانية كانت على وشك اجتياح فلسطين ، و هي في أمس الحاجة إلى تأمين قواتها من خطر المواجهة الشعبية ، من جهة ، و إلى تأمين ظهرها في حالة التقدم شمالاً باتجاه الأراضي العثمانية ، من جهة أخرى . و كلا الأمرين يتطلبان ضمان ولاء رجالات الحركة الصهيونية في فلسطين ، والذين كانوا في حالة تذبذب و قلق

---

(١٦) صبري دريس : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٤–٢٩٥ .

(١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٨) إميل توما : المرجع السابق ، ص٦٤ . و كامل خلة ، الدكتور : فلسطين و الانتداب البريطاني، المنشأة العامة للنشر و التوزيع ، طرابلس ليبيا ط ٢، ١٩٨٢ م ، ص٥٨ .

سياسي و تنازع واضح في اتجاهات الولاء ، في الوقت الذي كانت فيه القوات البريطانية تقف على أعتاب فلسطين، و تعمل جاهدة على أن تفرض سيادتها عليها [١٩] ، و في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا تكثف من أنشطتها و جهودها الحربية في بلاد الشام ، وتتجه بأنظارها نحو مصر و فلسطين [٢٠] .

و يضاف إلى ذلك أن الهجمات الألمانية ـ التركية المباشرة على قناة السويس وتخوم الأراضي المصرية . قد جعلتها تسعى جاهدةً لبسط سيادتها الفعلية على أرض فلسطين لتأمين الجيش البريطاني على امتداد القناة ،و عند مداخلها الرئيسية ، كما دفعها إلى التفكير الجدي في خلق كيان بديل (!) يقوم على أرضها ؛ ليساهم في تهيئة المناخ الإقليمي لوجود بريطاني آمن من هجمات الأعداء ، و قادر على التصدي للمحاولات الحربية المناوئة أو محاولات التحرر الوطني أو البعث السياسي القومي النقيض .

و لا شك أن الحكومة البريطانية كانت تضع نصب عينيها مدى قدرة اللوبي الصهيوني على التأثير في المواقف الحربية للدول الكبرى [٢١] ، و أنها أرادت ـ لذلك ـ أن تستقطب يهود العالم حول سياستها لتضمن تأييدهم ودعمهم للموقف السياسي والحربي البريطاني [٢٢] ، في الدول التي يقيمون فيها ؛ لأنهم ـ عندئذ سيكونون أكثر قدرة على التأثير الإيجابي في الرأيين: الشعبي والرسمي في بلدانهم على حد سواء .

---

(١٩) علي محمد علي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص١٢٩ .و إميل توما : المرجع السابق ، ٦٤ .وحبيب قهوجي : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢٠) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ .

(٢١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي و صداه، ١٩٠٨ م– ١٩١٨ م، ص ٢٦٥.

(٢٢) حلمي محروس إسماعيل ، الدكتور : تاريخ العرب الحديث ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص٣٧٥ .

وهكذا قيل [٢٣] إن الإنجليز قد أعطوا تصريح بلفور نظير وعد صهيوني بالعمل على إضعاف دول المحور ، وبخاصة عدوتهم ألمانيا .

و لم تكن بريطانيا تخفي رغبتها في التأثير على الموقف العسكري الروسي الذي تبدل بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ م ؛ فتخلى عن مساندة الحلفاء ، وأعلن انسحابه من الحرب ، و أخذ في كشف الملفات السرية و الإعلان عنها ، و هو الموقف الذي انعكست آثاره سلباً على بريطانيا و سائر دول الحلفاء [٢٤] . و لما كان لليهود الروس دور لا ينكر في الثورة الجديدة ، فإن استمالتهم ستؤثر على الموقف الروسي ، و ستعمل على استبقائه في حالة حرب ضد دول المحور [٢٥] . ومما يؤكد ذلك أن دول الحلفاء قد وزعوا نص التصريح بالطائرات على كل التجمعات اليهودية في أوربا ، و بخاصة في روسيا . ومن الجدير بالذكر أن جهود بريطانيا في هذا الباب ، لم تُجْدِ نفعاً ؛ لأن الثورة البلشفية كانت قد عزمت على الخروج من الحرب ، و قررت اتخاذ سياسيات مغايرة لسياسة دول الحلفاء و المحور على حد سواء [٢٦] .

و لا بد من الإشارة إلى أن بريطانيا قد أرادت أن تدفع الولايات المتحدة ، من خلال اللوبي الصهيوني ، لكي تخوض الحرب العالمية الأولى [٢٧] إلى جوار دول الحلفاء . و مع ذلك ، فإن من المؤرخين من يشكك في صحة هذا الهدف ، و يأخذه بحذر ، على اعتبار أنه ربما كان من الأهداف السرية ، التي لم يتم الإفصاح عنها [٢٨] . و مهما

---

(٢٣) يلاحظ أننا استخدمنا كلمة " قيل " لبيان التشكيك و عدم اليقين من جملة المقول .

(٢٤) Lloyd George ;The Truth a bout the peace . Vol 2 , P1134 .

(٢٥) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

(٢٦) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع ، انظر : محمد عكاشة ، الدكتور : المرجع السابق ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢٧) إميل توما : المرجع السابق ، ص٦١ . و تيسير جبارة ، الدكتور ، المرجع السابق ، ص٤٩ . وهناك من ينكر هذا الدافع ، لأنه ليس هناك إي دليل تاريخي عليه . جورج أنطونيوس : المصدر السابق ، ص ٣٦٧ . و بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص٤٦٦ .

(٢٨) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

يكن من أمر فإن عدم البوح بالسبب لا يعنى عدم وجوده ، و لا يسقطه من حسبان الفكر السياسي ، غير المجبر على التصريح بكل نواياه ، أو كشف جميع أوراقه على طاولة الباحثين .

و يزعم [٢٩] البعض أن هذا الوعد كان مكافأة لحاييم وايزمن ، على اختراعه لمادة الأسيتون ، التي استخدمت في صناعة المتفجرات ، و ساهمت في رفع القدرة القتالية لقوات الحلفاء [٣٠] . و قد رفض كثير من الباحثين والساسة هذا الزعم [٣١] ؛ لعدم واقعيته ، حيث إنّ الحكومة البريطانية لم تكافئ أياً ممن ساهموا في تطوير السلاح الحربي أثناء انشغالها بالحرب ، و لم تسجل في أرشيف الحرب أنها وظفت هذه المادة في صناعة المتفجرات ، و لم توجه الكتاب لحاييم وايزمن ، ولم يُقِرّ زعماء الحركة الصهيونية بمثل هذا التبسيط في التفكير السياسي [٣٢] ، كما أن التصريح كان موجها في الأصل لـ "دي روتشلد " ، و ليس إلى وايزمن ، فضلاً عن أن بعض الساسة البريطانيين أنفسهم قد أنكروا حدوث مثل ذلك ، و هوّنوا من دور مادة الأسيتون ذاتها ، و إن كانوا لم يُهَوِّنوا من مكانة وايزمن لدى بريطانيا . و بناء على كل ما سبق ، يمكن القول ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ إن هذا الزعم لا يستند إلى أي سند أو حقيقة تاريخية يمكن قبولها أو التسليم بمضمونها [٣٣] .

٢. الأهداف و الدوافع الدينية :

و لا يفوتنا أن نشير إلى عدد من العوامل الدينية ، و منها معتقد الطوائف الإنجيلية " المتصهينة " ، التي تؤمن بالنبوءة التي ربطت ـ و لا زالت تربط ـ بين

---

(٢٩) استخدمنا هذا المصطلح للتعبير عن التشكيك و عدم القين في هذا الزعم .

(٣٠) Lloyd George ;War . . . . ., PP 348-349 .

(٣١) Charles Webster ; The Art and Practice of Diplomacy , London ,1961 , P 120 – 122 .Christopher Sykes ;Ibid. , P27 ..

(٣٢) بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص٤٦٥ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٧.

المسيحيين الذين يؤمنون بعقيدة " عودة المسيح " ، في آخر الزمان ، ويقرنون بينها و بين قيام دولة اليهود على أرض فلسطين [٣٤] . و حسبا أن نعلم ـ في هذا السياق ـ أن رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج نفسه ، كان ممن يؤمنون بالنبوءات التوراتية القائلة بعودة اليهود إلى أرض الميعاد [٣٥] . و هي نفس الفكرة التي اعتقدها و نادى بها عدد من زعماء أوربا من قبل ، و منهم نابليون بونابرت نفسه ، كما سبق بيان ذلك . و إذا أخذنا في الحسبان أن أقطاب الحركة الصهيونية ، و أن عدداً كبيراً من السياسيين البريطانيين ـ في ذلك الحين ـ كانوا من اليهود ، اتضح لنا مدى التأثير الديني في تشكيل وصياغة أهداف السياستين : البريطانية و الصهيونية [٣٦] .

و من الجدير بالذكر أن أنصار هذه الطائفة قد نسوا أن يهود العصر الحديث ليسوا امتداداً ليهود العصور القديمة ، و لا لبني إسرائيل الأوائل ، و لا تربطهم بهم أية روابط قومية . و إذا سلمنا جدلاً ، بوجود نوع من الروابط ، فإن من المؤكد أن هذه النبوءة مرتبطة بالأسر البابلي ، و أن العودة قد تمت بالفعل ، بعد السبي بقليل . و من هنا فإن أنصار هذا الموقف يصدرون عن سوء فهم لنصوص التوراة [٣٧] ، و يستغلون جهل البسطاء من الناس للتأثير عليهم .

و كان للخلاف المذهبي بين بريطانيا و فرنسا من جهة ، و لكراهة بريطانيا لأن يكون لروسيا الشيوعية الملحدة سيطرة دينية أو سياسية على أرض فلسطين [٣٨] من جهة أخرى ، دور بارز في اهتمام بريطانيا المتزايد بتفرد السيطرة على أرض فلسطين ،

---

(٣٤) لمزيد من التفصيل ، انظر : حسن مصطفى الباش : القدس بين رؤيتين ، هل تحسم النبوءات الصراع ، دار قتيبة ، بيروت ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص ٨٨ و ما بعدها .

(٣٥) Leonard Stein ;Ibid. P143.

(٣٦) تحتاج هذه القضية إلى دراسة معمقة خاصة بها ، لأنها تضرب في جذور الفكر الصهيوني كله.

(٣٧) على محمد على : الوعد الباطل (وعد بلفور) ، سلسلة كتب قومية ، العدد ١٨٨ ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص ٤٩ .

(٣٨) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

ورغبتها في انتزاعها من قبضة الإشراف الدولي ، كما كان مقترحاً في اتفاقية سايكس بيكو، كما كان له دور بارز في استبعاد الأطماع الفرنسية عن فلسطين ، والتي كانت واضحة للعيان ، وبإصرار سياسي واستراتيجي و ديني كبير ، حيث كان عدد من القوى السياسية و الدينية داخل فرنسا يضغط على الحكومة لتفرض سيطرتها المنفردة على الأماكن المقدسة في فلسطين [٣٩] . و من الجدير بالذكر أن هذا الأمر قد دفع كلاً من بريطانيا و أقطاب الحركة الصهيونية إلى العمل بحذر ، و إلى الاتفاق على مشروع الوطن القومي اليهودي دون التعرض لمسألة السيادة على أرض فلسطين [٤٠] ، لا من قريب و لا من بعيد .

و ربما رأت بريطانيا في هذا التصريح تعزيزاً لفكرة انتصار الصليبية على الإسلام. و مما يؤكد ذلك أن الجنرال أللنبي قال عند دخوله القدس ـ وبينما كان العرب يقاتلون إلى جواره ! ـ : " اليوم انتهت الحروب الصليبية " [٤١] ، ثم قال مخاطبا صلاح الدين الأيوبي : "ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين " .

و قد أكد بعض أعضاء البعثة الصهيونية التي جاءت إلى فلسطين بعيد الاحتلال البريطاني مباشرة ، تلك الروح الصليبية المعادية للإسلام ، و الراغبة في محاربته ، حيث قال " إن الفكرة الأساسية للبريطانيين الكامنة وراء رغبتهم في رؤية دولة يهودية تقوم في الشرق ، هي أن تقف هذه الدولة في وجه قوة الإسلام المتصاعدة " [٤٢] .

٣. الأهداف الاستراتيجية :

كان من الأهداف المبكرة التي دفعت باتجاه إصدار التصريح أن بريطانيا أرادت أن تضمن استمرار تمزق الوطن العربي إلى مشرق و مغرب ، ليس بينهما أي اتصال

---

(٣٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤٠) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤١) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ،ج١ ، صيدا ،١٩٥٩ م ، ص٢٧.

(٤٢) عبد الفتاح محمد العويسي، الدكتور : المرجع السابق ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

ديمغرافي أو ترابط في الحدود والجغرافية السياسية [٤٣] ؛ لأن استمرار هذا الوضع يسهل لها عملية استمرار السيطرة عليه ، و يَفُتّ في عضد العرب ويستنفد طاقاتهم و ينهك قواهم [٤٤] . و قد أكد تقرير بانرمان [٤٥] ، منذ سنة ١٩٠٧ م ، على الأهمية الاستثنائية للبحر المتوسط ، كما أكد على ضرورة استعمار فلسطين ، و خلق حاجز سياسي و ديمغرافي فيها ، بحيث يضمن استمرار تمزق الوطن العربي . و مما لا شك فيه أن هذا التوجه كان متأثراً بالفكر الصهيوني و مستجيباً لمطالبه السياسية و الأسطورية .[٤٦]

و كان قادة بريطانيا يريدون استباق الأحداث وخلق المبررات ؛ لفرض سيادة أو نفوذ بريطاني على أرض الواقع ، يتوازن مع النفوذ الفرنسي في سوريا و لبنان ، ويمنع فرنسا من تحقيق أطماعها في فلسطين [٤٧] . و بعبارة أخرى ، يمكن أن يقال إن بريطانيا كانت تريد أن تخلق في فلسطين كياناً حليفاً يدور في فلك السياسة البريطانية شرق الأوسطية [٤٨] ، قبل أن تحيي فرنسا مشروعها القديم ، و قبل أن تقيم تحالفاً حقيقياً مع الحركة الصهيونية، و على نفس الأسس التي يقوم عليها نص تصريح بلفور، مما يمكنها من الفوز بالسيادة المنفردة على بلاد الشام، و تهديد المصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط ، و سواحل المحيط الهندي . و مما زاد من حذر بريطانيا تجاه الموقف الفرنسي أن فرنسا كانت قد سبقتها في الرابع من يونيو سنة ١٩١٧م ، إلى تقديم

---

(٤٣) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٢٥ . و حلمي محروس إسماعيل الدكتور ، المرجع السابق ، ص٥٣٤ .

(٤٤) محمد عزة دروزة: المصدر السابق، ص٢٥. و تيسير جبارة ، الدكتور: المرجع السابق، ص٤٩.

(٤٥) السيد هنري كامبل بانرمان . Sir Henry Cambell-Bannerman هو رئيس الحكومة البريطانية فيما بين سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٨ م .

(٤٦) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع ، انظر : محمد عكاشة ، الدكتور : تصريح بلفور ، الجريمة التاريخية الكبرى، مجلة سبأ ، العدد الخامس ، ١٩٨٩ م ، ٢٦ – ٢٩ .

(٤٧) إميل توما : المرجع السابق ، ص ٦٤ . وبيان نويهض الحوت ، المرجع السابق ، ص٤٦٣ .

(٤٨) تيسير جبارة ، الدكتور : المرجع السابق ،ص ٤٩ .

تعهد رسمي إلى أحد قادة الحركة الصهيونية ، هو ناحوم سوكولوف [٤٩] ، وبينت فيه تعاطف فرنسا مع أماني الشعب اليهودي في إقامة دولتهم اليهودية على أرض فلسطين [٥٠] ، و بعد أن كانت قد ناقشت هذا الموضوع باستفاضة و تفصيل [٥١] . . وهكذا يمكن القول إن بريطانيا قد سعت إلى إقامة الكيان الصهيوني ؛ ليكون بمثابة حاجز بشري موالٍ لبريطانيا وحدها ، وقادر على الفصل بين مناطق النفوذ الفرنسي في شمال الشام [٥٢] ، ومصر . هذا من جهة ، أما من الجهة الأخرى ، فلا يستبعد الباحث ـ في هذا المجال ـ أن تكون بريطانيا قد أرادت أن تقيم توازناً و تعادلاً مع النفوذ الفرنسي في لبنان ، و في شرق البحر المتوسط ، ذلك النفوذ الذي أصبح حقيقة واقعة ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حين لعبت فرنسا الدور الأكبر في وضع حدّ للحرب الأهلية ، و في حماية موارنة جبل لبنان ، و تحقيق قدر من الاستقلال لكيانهم السياسي . و لما كان مقدراً لهذا الكيان أن يكون حليفاً لبريطانيا أو تحت حمايتها ، فإن من المؤكد أنه سيساهم (من وجهة النظر الاستراتيجية) في تأمين الهيمنة البريطانية و الوجود البريطاني في قناة السويس ، و في تأمين المصالح البريطانية في مصر و البحر الأحمر وغرب الجزيرة العربية [٥٣] ، فضلاً عن دوره المتوقع في تأمين المصالح البريطانية البترولية في العراق وبلاد الخليج العربي [٥٤] .

---

(٤٩) عاش ناحوم سكالوف فيما بين سنتي١٨٥٩ و ١٩٣٦ ، و هو يهودي بولندي اشتغل بالصحافة ، و اهتم بالبعث اليهودي و بإحياء اللغة العبرية ، ثم عمل سكرتيراً عاماً للمنظمة الصهيونية العالمية ، فيما بين سنتي ١٩٠٧ و١٩٠٩ م ، و انتقل بعدها للعمل في اللجنة التنفيذية الصهيونية و اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، و هو من أكبر أعوان ومقربي لحاييم وايزمن .

(٥٠) Leonard Stein , Ibid. ,PP 416-417

(٥١) لمزيد من التفاصيل عن هذه المفاوضات ، انظر : Ibid. ,PP 394-421

(٥٢) محمود حسن منسي : تصريح بلفور ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ٤٣ .

(٥٣) Leonard Stein , Ibid. ,PP 617 –618 ,and Lloyd George , The Truth . . . , P 1148

(٥٤) محمود حسن منسي : المرجع السابق ، ص ٧٣ . و إبراهيم رضوان الجندي ، الدكتور :

و لعل بريطانيا أرادت أن تقطع الطريق على ألمانيا ، التي كانت قد دخلت في مفاوضات سلام مع الدولة العثمانية و نجحت في استقطابها إلى الوقوف في جانبها ، والتي كانت قد عرضت على قادة الحركة الصهيونية مشروع استعمار فلسطين ؛ والتعاون معهم لتنفيذ المشروع الصهيوني [٥٥] . ويمكن القول بعبارة أخرى ، إن بريطانيا أرادت أن تكسب ود اليهود في دول المحور ، و بخاصة في ألمانيا و النمسا ، و أن تفوت على هذه الدول فرصة التحالف معهم من خلال تعهدهم بتبني المشروع الصهيوني في وثيقة رسمية شبيهة بالتصريح موضوع البحث [٥٦] .

و مما لا شك فيه أن بريطانيا كانت تراقب تطور العلاقات العثمانية اليهودية بحذر شديد ، حيث نجح يهود الدونمة في اختراق حركة تركيا الفتاة ، و في توسيع دائرة نفوذهم في جمعية الاتحاد و الترقي ، كما نجح أقطاب الحركة الصهيونية في التأثير على الموقف العثماني الرسمي من خلال ألمانيا ، التي دفعت العثمانيين إلى الموافقة على منح اليهود الجنسية العثمانية و تحويلهم ليصبحوا جزءاً من رعاياها [٥٧] . و يدل ذلك دلالة واضحة على أن الدولة العثمانية ـ كألمانيا ـ تضع في اعتبارها الدور السياسي و الحربي لليهود ، على الصعيدين الداخلي و الخارجي ، و أنها قد تنجح في اكتساب دعمهم و تأييدهم بصورة قاطعة و نهائية ، مما قد يسبب إرباكاً غير مأمون للمخطط الاستراتيجي لبريطانيا و سائر دول الحلفاء

سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين (١٩٢٢ – ١٩٣٩ م)، منشورات دار الكرمل، عمان ، ط ١، ١٩٨٦ م ، ص ١٥ .

(٥٥) Lloyd George , Ibid , PP 1116-1122 . و بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ –١٩٤٨ م) ، دار الأسوار ، عكا ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٣ –٧٤ .

(٥٦) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ . و عبد الفتاح محمد العويسي ، الدكتور : المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٥٧) صبري جريس : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩١–٢٩٢ .

و ما قيل عن العلاقات العثمانية اليهودية يمكن أن يقال عن العلاقات اليهودية الروسية ، حيث أصبح لليهود الروس دور بارز في التأثير على قيادة روسيا البلشفية ، وفي التأثير على سياستها الخارجية [٥٨] . و مما لا شك فيه أن استقطاب يهود روسيا من خلال إصدار تصريح يقر لهم بحق إقامة وطن قومي في فلسطين أمر بالغ الأهمية في تشكيل مجريات الحرب العالمية الأولى .

و أخيرا لا بدّ من القول إن هذا التصريح يتقدم ، بخطىً جريئة ، في طريق الرؤية الأوربية لآلية التخلص من الوجود و النفوذ الصهيوني في أوربا ؛ بإقامة الوطن القومي اليهودي في إحدى بلدان الشرق [٥٩] ، بطريقة عصرية مهذبة ، يتم بها إقصاء العناصر اليهودية بطريقة اختيارية مقبولة و منطقية . ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية كانت تشكل قلقاً استثنائياً للشعوب والحكومات الأوربية ، و على رأسها الحكومة البريطانية التي كانت قلقة أكثر من غيرها ، من ازدياد الهجرة اليهودية من روسيا و أوربا الشرقية إلى أوربا الغربية [٦٠] عامة ، و إلى بريطانيا على وجه الخصوص . و يضاف إلى ذلك أن هدف التخلص من النفوذ الرأسمالي اليهودي ، كان هاجساً مشتركاً بين جميع شعوب تلك الدول .

٤. الأهداف و الدوافع الاقتصادية :

ولم تكن القدرة المالية لدى أثرياء اليهود خافية على الحكومة البريطانية ذات الخزينة المستنزفة في الإعدادات و الإمدادات العسكرية الخاصة بالحرب العالمية الأولى ؛ و كانت بريطانيا تتخيل أن رأس المال اليهودي الضخم يمكن أن يسهم بشكل فعال في إعادة بناء اقتصاد أية دولة يتم تدفقه إليها . و يبدو أن الحركة الصهيونية قد خيبت

---

(٥٨) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٥٩) حلمي محروس إسماعيل ، الدكتور : المرجع السابق ، ص٥٣٤ .

(٦٠) صبري جريس : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ ، وعبد الفتاح محمد العويسي ، الدكتور : المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

آمال بريطانيا ، في هذا المجال ، لدرجة أنه وجد ، من بين الباحثين ، من أنكر هذا الهدف أو اعتبره مبالغا فيه ؛ بناء على تصريحات بعض القادة البريطانيين [٦١] ، وعلى أساس أن ما قدمه اليهود لبريطانيا من أموال ، فيما بين عامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ م ، كان قليلا للغاية ، ولم يكن من اليهود المتعاطفين مع الحركة الصهيونية ، بقدر ما كان من اليهود المعارضين لسياستها [٦٢] . و مهما يكن من أمر ، فإن هذا العامل لا يمكن إغفاله ، و قد اعترف به عدد من قادة الحركة الصهيونية أنفسهم [٦٣] ، كما أن عدم تقديم رجالات الحركة الصهيونية للأموال ، لا يعني بالضرورة أن بريطانيا لم تكن تطمع في دعم أثرياء اليهود المالي ؛ لأنها كانت في أمس الحاجة للأموال ، في ذلك الحين ؛ بسبب ارتفاع قيمة فواتيرها الحربية و خواء خزينتها .

و ليس من شك في أن بريطانيا كانت تدرك تماماً الدور الذي يمكن أن تلعبه دولة مصطنعة ـ كما يقترحها التصريح ـ و ما يمكن أن تقوم به على أرض فلسطين ، بحيث تكون بمثابة جسر لنقل فوائض الإنتاج الأوربي ، على وجه العموم ، و فوائض الإنتاج البريطاني ، على وجه الخصوص . و يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كانت تدرك ـ أيضاً ـ الدور الذي يمكن أن يلعبه ذلك الكيان في توفير المواد الخام الموجودة في المنطقة ، و في حماية المصالح الإمبريالية فيها. و هكذا يمكن القول إنه ليس من المستغرب أن تفكر بريطانيا مثل هذا التفكير ، و أن تتخذ منه حافزاً على إصدار التصريح .

ثانياً ـ الأهداف و الدوافع الصهيونية :

لم يكن تصريح بلفور ـ كما سبق القول ـ قراراً بريطانياً منفرداً ، و إن كانت صيغته توحي بذلك ، و إنما كان في أساسه عبارة عن صيغة تفاوضية اتفق عليها سلفاً ، مع قادة

---

(٦١) كامل خلة ، الدكتور: فلسطين و الانتداب البريطاني ،ص ٥٧ .. Christopher Sykes , Cross Roads to Israel. ;Palestine from Balfour to Bevan, London 1965,P27 .

(٦٢) بيان نويهض الحوت : المرجع السابق ، ص٤٦٦–٤٦٧

(٦٣) كامل خلة ، الدكتور: المرجع السابق ، ص ٥٧ .

الحركة الصهيونية في بريطانيا ، و الذين عبروا عن طمـوح و موقـف الحركـة في أوربـا كلها . و قد عرض مضمون هذا التصريح ؛ لكونه يهم جهات عديدة ، و سـيؤثر علـى مجريات السياسة الإمبريالية ككل ، على عدد من الدول الغربية ، قبل أن يعلن عنه . و من هنا فإن مما لا شك فيه أن الحركة الصهيونية كانت المعني الأكبر بهذا التصريح، و لها أهدافها الخاصة من ورائه ، و لو لم يكن الأمر كذلك ، لما سعى قادتها لسنوات عديدة ؛ بحثاً عن أفضل السبل و الظـروف الكفيلـة بصـدوره و العمـل علـى تنفيـذه . ومهما يكن من أمر فإن قادة الحركة الصهيونية قد سعوا إلى تحقيق عدد من الأهداف، المعلنة و الخفية ، والتي لم تحظ باهتمام كثير من المؤرخين و الساسة على حدٍّ سواء، حيث تم التركيز على الأهداف البريطانية ، على حساب الأهداف والمصالح الصهيونية. و يمكن للباحث أن يقف ـ في هذا المقام ـ على عدد منها ، على النحو التالي:

كانت الحركة الصهيونية تحرص على الاندماج في المشروع الاستعماري الإمبريالي الغربي، و المشاركة في جني ثماره ، و توظيفه توظيفاً سياسياً لصالح القضية اليهودية، في هيئة موقف رسمي معلن، و لا يمكن التراجع عنه . و لما كانت الحركـة الصهيونيـة وليدة المجتمع الرأسمالي الغربي ، و لما كان هذا المشروع رأسمالياً في طبيعته، و لما كانت الحركة الصهيونية تدرك أهمية رأس المال في إدارة دفة الحياة الاقتصادية والسياسـية ، على حد سواء ، ويتحكم أثرياؤها في نسبة كبيرة من ذلك المال الغربي ؛ فإنهم قد قرروا الإفادة من النفوذ الاستعماري ـ مستغلين الحاجة الأوربية للأمـوال ، والمنـهج السياسـي الغربي القائم على المصالح الخاصة ـ و اقتربوا من هدفهم بثبات ومارسوا ضغوطاً شـديدة و متواصلة على بريطانيا و معظم الدول الأوربية [٦٤] ؛ للاستجابة لهذا المطلب .

---

(٦٤) لمزيد من التفصيل عن هذه الضغوط ، انظر : صبري جريـس : المرجـع السـابق ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

و لم تكن الحركة الصهيونية قادرة على تحقيق الأهداف السياسية للاستيطان اليهودي في فلسطين ، دون الاستناد إلى قوة كبرى أو مجموعة من القوى الكبرى القادرة على ممارسة الضغوط الإقليمية و الدولية ، و على توفير الحماية الدولية و الغطاء الشرعي الدولي ، فضلاً عن قدرتها على حماية المهاجرين اليهود ، و دعمهم عسكرياً و معنوياً ، بتوفير الأسلحة و التدريب ، والتعبير عن روح التعاطف و التقدير للدوافع اليهودية ويضاف إلى ذلك توفير الغطاء القانوني لوجودهم في فلسطين ، من خلال دعاوى التابعية ، وحماية مصالح الرعايا المتمتعين بجنسيتها .

و مما لا شك فيه أن صدور التصريح سيؤدي إلى تطوير المشروع الاستيطاني الصهيوني من المستوى الديمغرافي القائم على أسس اجتماعية واقتصادية ، إلى المستوى السياسي الهادف إلى إقامة دولة قومية يهودية ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، و سيساهم في سرعة إنضاج المشروع ، و يقرب من إمكانات و ظروف تحقيقه .

و مما لا شك فيه ـ أيضاً ـ أن تبني بريطانيا للمشروع بصيغة تعاقدية أو رسمية ، سيضمن نجاح المشروع ، وسيزج ببريطانيا في أتون الصراع العربي الصهيوني ، لصالح الحركة الصهيونية ، وسيدفع عدداً كبيراً من يهود أوربا نحو الهجرة إلى فلسطين والاستقرار فيها .

و لما كان التصريح قد صدر بعد مراحل متعددة من التفاوض ، وحمل في طياته كثيراً من الاتفاقات السرية أو الشفهية ، فإن الحركة الصهيونية كانت تتوقع أن يساهم صدوره في حماية المصالح اليهودية والصهيونية في أوربا عموماً ، وفي بريطانيا على وجه الخصوص ، وسيحسن العلاقات اليهودية مع معظم الدول الأوربية ، ويدفعها إلى تخفيف الضغوط عن التجمعات اليهودية ، التي بات من الواضح أنها تسعى لحل مشكلتها القومية في أوربا ، من خلال البحث عن وطن بديل . وهو الأمر الذي كانت أوربا ، بشرقها وغربها ، تسعى إليه بشغف كبير . وهكذا يمكن القول إن الحركة

الصهيونية كانت تسعى لاستصدار التصريح ليسهم في حل المسألة اليهودية في أوربا، بعد أن لاقى اليهود فيها الأمرين، من جراء الاضطهاد و التعقب و البطش، و سوء المعاملة، والتمييز العنصري .

و كانت الحركة الصهيونية تسعى ـ كذلك ـ لخلق قومية يهودية ـ تبعاً لما كان سائداً في أوربا ـ على أساس الدين و الأرض و اللغة و التاريخ الموحد المزعوم ، والتراث الموهوم ، و هو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الوطن القومي الذي تعترف به القوى الكبرى ، و هو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بسهولة ، ما لم يصدر تصريح دولي ملزم للدولة المعنية باستعمار فلسطين .

و من الجدير بالذكر أن الصهاينة كانوا يرغبون في استثمار ظروف الحرب العالمية الأولى ؛ لتحقيق ذلك الحلم الذي راودهم طويلاً ، من خلال تيارين متكاملين ، هما : التيار السياسي الذي كان يسعى للحصول على دعم أو موافقة دولية ؛ لدعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، أو أية منطقة أخرى خارج أوربا ، و توفير الغطاء الدولي والحماية لهذا المشروع . و التيار الثقافي الذي كان يدعو إلى إقامة الدولة أو الوطن اليهودي باعتباره وسيلة لبعث نهضة يهودية شاملة [٦٥] .

و لا بد من القول إن قادة الحركة الصهيونية و غالبية اليهود يؤمنون بحتمية و ضرورة العودة إلى أرض الميعاد ، و تجديد بناء الهيكل و إحياء الوجود اليهودي في صهيون ، و قد ورد كثير من النصوص التوراتية المتعلقة بهذا الموضوع ، و بخاصة في مرحلة السبي البابلي [٦٦] . و مما لا شك فيه أن صدور مثل هذا التصريح يقرب اليهود

---

(٦٥) عدنان أبو عودة : إشكاليات السلام في الشرق الأوسط ، رؤية من الداخل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٥٠ .

(٦٦) انظر على سبيل المثال : التوراة سفر حزقيال ، المزمور ١٣٦ ، و سفر إشعيا : ٢٨/٤٤

من تحقيق هذا الهدف الديني ، و من ثم كان العمل على إنجازه عبادة و قربى للرب ، على حد قولهم .

و أخيراً ، فإن مما لا شك فيه أن الحركة الصهيونية كانت تدرك تمام الإدراك أن حصولها على التصريح سيحسم الخلاف الدائر بين قادتها ، حول مكان الوطن المقترح ، و سيحدد هذا المكان بطريقة نهائية و قطعية [٦٧] ، بحيث يمكن للحركة الصهيونية أن تطور أداءها بثقة أكبر ، و أن تعزز نفوذها على أتباعها المعنيين . و هكذا يمكن القول إن الحركة الصهيونية كانت معنية بصدور التصريح لأنه كانت يمثل بداية مرحلة و نقلة نوعية في تاريخها السياسي .

قراءة تحليلية لنص التصريح و مفاهيمه

أولاً ـ نظرة خارجية على التصريح :

لم تكن فكرة هندسة الكيان اليهودي و إعادة بنائه ، على أرض فلسطين ، من الأفكار الوليدة في القرن العشرين ، فهي إحدى المشاريع الاستيطانية القائمة على العنصرية و الإقصاء القسري ، و التي تم تنفيذ جانب كبير منها خلال القرن التاسع عشر ، بل قبل ذلك ، في عدة أماكن من أفريقيا. ، و في أمريكا الشمالية و استراليا [٦٨] ، و غيرها من قارات العالم .

و ترجع أولى المحاولات المشهورة ، في العصر الحديث ، و الهادفة إلى إحياء الدولة اليهودية في فلسطين ، إلى عصر نابليون بونابرت ، الذي نادى إبّان غزوه لبلاد الشام ، بالعودة اليهودية إلى أرض الأجداد [٦٩] ، و حرض اليهود على السعي لإحياء

---

(٦٧) عبد الفتاح محمد العويسي ، الدكتور : المرجع السابق ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٦٨) عدنان أبو عودة : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٦٩) لمزيد من التفصيل عن هذا المشروع و دوافعه ، انظر : عبد الفتاح محمد العويسي ، الدكتور : جذور القضية الفلسطينية (١٧٩٩ – ١٩٢٢) دار الحسن للطباعة و النشر ، الخليل ط ٢ ، ١٩٩٢ م ، ص ١٣٦ و ما بعدها .

مملكتهم القديمة . و مهما قيل عن عدم إخلاص نابليون لهذه الفكرة ، فإن من الثابت أنه لم يلق هذه الفكرة جزافاً ، و أنه كان يدرك أهمية تعاون فرنسا مع أثرياء اليهود ، و الاستفادة من إمكاناتهم الاقتصادية ، في تحقيق المشروع الاستعماري الفرنسي . و مهما يكن من أمر ، فإن مساهمة بريطانيا في التصدي للحملة الفرنسية ، يؤكد على بداية اهتمامها بالسيطرة على فلسطين ، كما يؤكد أن دعوة نابليون قد وضعت في حسبان صاحب التاج البريطاني منذ ذلك الحين .

و أدركت الدولة البريطانية حاجتها المتزايدة إلى بسط نفوذها على فلسطين ، من خلال إنشاء كيان فاصل أو رأس جسر فاصل بين الدولة العثمانية و مصر من جهة ، ويحول بين حكام مصر وإمكانية التحالف مع فرنسا من جهة أخرى ، بعيد الحملة المصرية على بلاد الشام [٧٠] . و قد عبر بالمرستون عن هذا التوجه في رسالة موجهة إلى السفير البريطاني في إسطنبول ، بتاريخ ١٨٤٠/٨/١١ م ، حيث بين اقتراب عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين ، و حث السفير على إغراء السلطان العثماني ، بما يمكن أن يقوموا به من دور سياسي في عزل مصر عن حدود دولته ، و بما يملكه اليهود من ثروات يمكن أن تطور هذا الإقليم بطريقة عصرية ، و بسرعة فائقة [٧١] . ثم ازدادت هذه النظرة وضوحاً مع حفر قناة السويس ، و ارتفاع وتيرة الصراع حولها بين بريطانيا وفرنسا ، اللتين كانتا بمثابة صديقين لدودين ! ، في ذلك الحين . و قد دفع هذا الصراع بريطانيا إلى السيطرة على مصر بصورة نهائية سنة ١٨٨٢ م .

و مع أواخر القرن التاسع عشر ، كثرت الدعوات المحرضة على إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، و انتقلت العدوى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التي نادت

---

(٧٠) المرجع السابق ، ص ١٣٩ و ما بعدها .

(٧١) حامد سلطان ، الدكتور : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٦ – ٧٧ . و جورج جبور : المرجع السابق ، ص ١٥ .

سنة ١٩٩١ م ، بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين [٧٢] . و هكذا يمكن القول إن ما دعت إليه الحركة الصهيونية ، في مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ م ، حول " إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي، على أسس يضمنها القانون الدولي العام" [٧٣]، لم تكن من بنات فكر الحركة الصهيونية وحدها ، ولم تكن طموحاً يهودياً فحسب، و إنما كانت عبارة عن توجه غربي عام تتبناه الرؤية الصليبية على وجه العموم، وأن الحركة الصهيونية كانت تتطلع منذ ذلك الحين للحصول على موافقة أفضل القوى الدولية الضامة لمثل هذا التصريح. ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية كانت تعتمد آلية استعمار فلسطين على أسس زراعية و صناعية منذ ذلك الحين [٧٤]. وأن الدول الاستعمارية الغربية كانت تتنافس فيما بينها حول السيطرة على شرق المتوسط عموماً، وعلى فلسطين على وجه الخصوص .

و مع حلول عام ١٩٠٧م ازداد اهتمام بريطانيا بفلسطين، و ازداد اقتناعها بفكرة المشروع الصهيوني، بناء على التقرير الذي أعده عدد من المفكرين السياسيين، والذي عرف في حينه بـ تقرير بانرمان "، حيث بيَّن أولئك المفكرون الأهمية الاستراتيجية الاستثنائية لفلسطين، وأعربوا عن قناعتهم بضرورة خلق كيان حليف على أرضها [٧٥].

و من هنا لم يكن من المستغرب أن تخفي اتفاقية سياكس بيكو ، في ثناياها خلافاً كبيراً بين دول الحلفاء ، حول المستقبل السياسي لفلسطين ، حيث كان لكل دولة من تلك الدول أطماعها و مصالحها الخاصة في هذا البلد . و قد تمثلت تلك الرغبات في عدة

---

(٧٢) Reoben Fink, America and Palestine (new York; American Zionist Emergency Council, 1944 , P 20 – 22 .

(٧٣) Israel Cohen, The Zionist movement, (New York, Zionist Organization of America, 1964 , P77 .

(٧٤) محمد عبد الرؤوف سليم، الدكتور: نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين، منذ نشأتها و حتى قيام دولة إسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م،ص ١١– ١٢.

(٧٥) لمزيد من التفصيل ، انظر: محمد عكاشة، الدكتور: المرجع السابق، ٢٦ – ٢٩ .

أمور ، منها الرغبة في تقوية النفوذ الديني ، وتعزيز الهيمنة الاقتصادية ، والحرص على تأمين الطرق التجارية بين الشرق والغرب ، والرغبة في التفرد بالنفوذ الفعلي في المنطقة ، و في فصم عرى أي محاولة للوحدة العربية ، سواء أكانت هذه الوحدة جزئية أم شاملة [٧٦] .

و إذا عدنا إلى تصريح بلفور من زاوية أخرى ، نجد أنه قد اتسم بالغموض وإمكانية خضوعه لأكثر من تفسير سياسي أو قانوني [٧٧] ، لأنه كان بمثابة وثيقة سياسية ، أكثر منه صيغة قانونية [٧٨]. ومن هنا حرص التفسير الصهيوني على التمسك بمفهوم الحد الأقصى للوطن القومي أو الديني اليهودي، في حين كانت الرؤية الأوربية عامة ، والبريطانية على وجه الخصوص ـ في أغلب الظن، و كما سنوضح فيما بعد ـ أقل خيالية، وأكثر إنسانية، وأقل تطرفا في تصورها لتطور القضية شرق الأوسطية [٧٩]. ومع ذلك، فإننا يمكن أن نستخلص منه، ونسجل عليه عدداً من الملاحظات، ومنها:

إنَّ التصريح قد جاء في صيغة رسالة موجهة من وزارة الخارجية البريطانية ، ومن الوزير البريداني آرثر جيمس بلفور على وجه التحديد ، إلى أحد أثرياء اليهود البريطانيين ، مع أنه قد تم الاتفاق على صيغته بشكل مسبق . و من الملاحظ أن الفريق الثاني لم يوقع عليه ، لا بصفة شخصية و لا بصفة اعتبارية، لأنه لم يكن للك تلك الصفة أصلاً [٨٠] . و إذا كان لهذا الأمر من دلالة ، فهي أن بريطانيا ـ وحدها ـ تتحمل القسط الأكبر من وزر التصريح ، و أنها أرادت أن تخفي الجانب التعاقدي فيه ؛ لأنها لم تكن تملك الحق القانوني للتعاقد ، في إطار اتفاقية دولية ، و لم يكن لها السيطرة

---

(٧٦) انظر حافظ وهبة : خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٠م ، ص١٦٨ -١٧٦.

(٧٧) د . بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص ٤٧٠ .

(٧٨) Leonard Stein : Ibid. P 201 .

(٧٩) بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص٤٧٥ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

الكاملة على فلسطين ، و لم يكن لها أي حق من حقوق السيادة ، و لم تقر أي من الدول ـ بعدُ ـ بحكمها لفلسطين ، و لم تكن قد خولت بموجب صك الانتداب ؛ لأن عصبة الأمم لم تكن موجودة أصلاً . ويضاف إلى ذلك أنها لم تكن ترغب في أن تثير شكوك الدول المنافسة ، و لا أن تسقط شيئاً من هيبتها ، بتعاقدها مع جهة بريطانية داخلية ، أو مع جهة لا تملك الصفة التعاقدية مع الدول ، و هي الحركة الصهيونية . أما فيما يتعلق بالجانب الصهيوني ، فلم يكن يملك الصفة الاعتبارية التي تؤهله للتعاقد الدولي ، لأن الحركة الصهيونية ، لم تكن صاحبة دولة ، و لم يكن لها أية صفة سياسية رسمية ، و لم يكن لها وجود فعلي على أرض فلسطين ، و لم تكن تتخذ من أرض فلسطين منطلقاً سياسياً ، و لم تكن تتمتع بصفة التنظيم التحرري الذي يمكن أن يسمح بتعاقد الدول معه .

و من البدهيات الذائعة القول بأن التصريح" وعد من لا يملك لمن لا يستحق"[٨١]، و من ثم فإنه باطل و ليس لديه أي سند قانوني أو سابقة دولية . و لا شك في أن اعتراف الحلفاء به ، أو تصرفهم على أساسه ، و كذلك ما نص عليه صك الانتداب، لا يكسبه شرعية دولية أو قانونية ؛ لأن ما بني على باطل كان باطلا [٨٢] . لقد صدر هذا التصريح عن الحكومة البريطانية ، قبل أن تستكمل سيطرتها العسكرية على فلسطين ، مع العلم أن تلك السيطرة لا تمنحها السيادة السياسية ؛ لأن تلك السيادة شأن شرعي تقيمه الدول على شعوبها ، و لا يؤول للدول الغازية بالسيطرة العسكرية . و يلاحظ ـ أيضا ـ أن بريطانيا أصدرت التصريح قبل أن يقر لها المجتمع الدولي بأية صفة اعتبارية في فلسطين ، بما لا يقل عن ثلاث سنوات ، علماً بأن اعتراف الدول الكبرى لا يمنح

---

(٨١) عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ص ٤٣ . و من الجدير بالذكر أن هذه العبارة قد أصبحت من العبارات النمطية التي يرد ذكرها على كل لسان ، بمجرد ذكر التصريح .

(٨٢) Henry Cattan ; Palestine and Inter national Law . The Legal Aspects of the Arab Israeli Conflict.(London ,2nd Edition P 61 .

التصريح ـ أيضاً ـ أية صفة قانونية ؛ لأن تلك الدول لا تملك سلطاناً شرعياً على حقوق الأمم الأخرى [٨٣] ، و لم يكن لديها أي تخويل ، لا من أصحاب الأرض ، و لا من أبناء الأمة العربية أو الأمة الإسلامية . ويضاف إلى هذا و ذاك أن تخلي الدولة العثمانية عن فلسطين اضطرارياً ، أو قبولها بالتصريح في معاهدة سيفر ، لا يمنح بريطانيا الصفة القانونية ـ أيضاً ـ لأن الدولة العثمانية كانت تحت تأثير الهزيمة ، و كان عليها أن تسدد فواتير هزيمتها ، و لم يكن لها أية سيادة على فلسطين ، حين وافقت على نص التصريح في المعاهدة المشار إليها آنفاً [٨٤] . و من ثم يمكن القول إنه لم يكن لها أية علاقة قانونية بأرض فلسطين ، و أنها قد منحتها لمن ليس له أية صفة قانونية فيها [٨٥] . و هكذا ، نجد أنفسنا في غنىً عن التأكيد بأن هذا التصريح لم يكن يمثل موقفاً دولياً ، و أنه كان مجرد قرار سياسي بريطاني أحادي الجانب . و من هنا سعت بريطانيا جاهدة ، فيما تلا ذلك من سنوات أن توفر الغطاء الإمبريالي الدولي له ، من خلال الاتفاقات الثنائية أو من خلال قرارات عصبة الأمم ، وعلى رأسها صك الانتداب نفسه . و مهما يكن من أمر ، فإن هذا التصريح يلبي رغبة ورؤية أوربية ـ بريطانية مشتركة ، لم تكن خافية على أحد ؛ لأنها كانت مطروحة على ألسنة مفكري أوربا وساستها منذ أمد ، و هي تهدف إلى التخلص من اليهود الأوربيين بتهجيرهم من أوربا ، بطريقة عصرية ، لا تمس الكبرياء الأوربي في دعاويه الديمقراطية ، بل الإنسانية على وجه العموم .

---

(٨٣) Henry Cattan; Ibid. P61 .

(٨٤) Ibid. P 61 .

(٨٥) جمال قدورة ، الدكتور : الأحزاب السياسية الفلسطينية ، ١٩٢٩ –١٩٣٦م ، ص ٣٧ .

ثانياً ـ قراءة سياسية لمنطوق التصريح :

و إذا عدنا لمنطوق التصريح مرة أخرى ، فإننا نستطيع أن نحلله تحليلاً سياسياً ، من خلال الإشارة إلى مجموعتين من الدلالات السياسية ، و ذلك على النحو التالي :

١) الدلالات السياسية المرتبطة بالجانب الفلسطيني :

أول هذه الدلالات أن التصريح لا يأخذ في اعتباره أيا من معطيات الحق التاريخي للشعب الفلسطيني ، على ترابه الوطني ، رغم أن هذا الشعب قد عاش على هذه الأرض ، دون أن يغادرها ، أو يعرف له وطناً غيرها ، منذ آلاف السنين . و هكذا يمكن القول إنه يتجاهل أبسط حقوق السياسية للإنسان الفلسطيني ، و التي يفترض أن يتمتع بها كل شعب عاش ـ و لا زال يعيش ـ على أرضه . إن التصريح يغفل ـ عن عمد ـ الترابط العضوي بين الجوانب السياسية و الديمغرافية و العرقية و الحضارية ، والإنسان و الأرض والتاريخ . و نحن ـ هنا ـ لا بد أن نؤكد أن الأرض الفلسطينية جزء من الأرض العربية و أن الشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية ، رغم أن له شخصيته و حضارته المتميزة ـ ضمن الإطارين : العربي و الإسلامي ـ على مدار التاريخ ، و لا يمكن للتصريح ، و لا لغيره من القرارات أن يُذوِّب هذه الحقيقة ، تحت أي ظرف من الظروف .

و يتجاهل التصريح هوية الأكثرية العربية الفلسطينية التي كانت تشكل أكثر من ٩٢٪ من مجموع السكان [٨٦] ، و يعتبرها مجرد أقليات أو جماعات أو طوائف مقيمة على أرض فلسطين ، ضمن مجموعة من الطوائف الأخرى ، غير محددة الهوية الوطنية أو السياسية أو الدينية . و في هذا تجريد للشعب الفلسطيني من شخصيته الوطنية

---

(٨٦) تيسير جبارة ، الدكتور : المرجع السابق ، ص٤٩ .

الفلسطينية ، و من قوميته العربية و حضارته الإسلامية الممتدة لقرون متطاولة في تاريخه و حضارته العريقة [٨٧] .

و يلاحظ ، في هذا المقام ، أن التصريح يكتفي ـ في ظل هذا الإطار ـ بالإشارة العابرة إلى ضرورة عدم المس بالحقوق المدنية والدينية بالطوائف الأخرى [الفلسطينيينة] ، و هو ما يمكن تفسيره بأن التصريح يفتح الباب أمامهم لإمكانية أن يحكموا أنفسهم حكماً ذاتياً محدوداً ، يحفظ لهم حق ممارسة الشعائر الدينية ، وحق إدارة الأمور المدنية ، كالتعليم و الصحة ، وغيرها من الخدمات . ومن ثم فإن كل ما يحذر منه التصريح هو محاولة المس بالحقوق الدينية والمدنية لسكان فلسطين من الفلسطينيين الذين كانوا ـ في المدلول السياسي للتصريح ـ مجرد " طوائف أخرى " . و يمن القول إن التصريح قد أشار إلى الحقوق المدنية و الدينية ؛ لأنه افترض أن سبل تنفيذ المشروع الصهيوني ستكون آمنة مضمونة العواقب ، ما تجنب القائمون على تنفيذه استفزاز السكان المحليين ثقافياً و دينياً [٨٨] . و من الجدير بالملاحظة ـ أيضاً ـ أن مفهوم الحقوق المدنية كان ـ و لا زال ـ مفهوماً فضفاضاً واسعاً لا يمكن الاتفاق على تعريف محدد له ، و من هنا يمكن للطرف الأقوى أن يتلاعب به تبعاً لأهوائه الخاصة . و مهما يكن من أمر ، فإنه يمكننا الآن أن ندرك العلاقة بين تصريح بلفور و ما طرحته حكومات إسرائيل المتعاقبة ـ وبخاصة في فترة السبعينات ـ من مشاريع الحكم الذاتي ، التي تعطي حقوقاً دينية و مدنية [٨٩] ـ تضيق و تتسع ، حسب توجه الحكومة صاحبة المشروع ، و لكنها تظل غامضة ، و تنطبق على السكان دون الأرض ، على أي حال ، حيث يمكن للسكان التمتع بحق الإقامة ، و بصورة غامضة أيضاً .

---

(٨٧) بيان نويهض الحوت : القيادات و المؤسسات ، ص ٧٤ .

(٨٨) عدنان أبو عودة : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٨٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

و لا بد من القول إن نص التصريح يتجاهل الحقوق السياسية الخاصة بالشعب الفلسطيني تجاهلاً متعمداً ، يحمل كثيراً من الإصرار و الدهاء السياسي ! . و تتأكد هذه الحقيقة ، بما لا يدع مجالاً للشك ، حين يتحدث التصريح نفسه ، عن الوطن القومي الخاص باليهود ، و حين يدرج الحقوق المدنية و الدينية للطوائف الأخرى في إطاره ، كما تتأكد هذه الحقيقة ـ أيضاً ـ حين يتحدث التصريح عن الحقوق السياسية التي كان اليهود يتمتعون بها في بلدانهم الأصلية ، في الوقت الذي يتجاهل فيه ذكر أي لون من ألوان الحقوق السياسية الخاصة بالسكان الأصليين ، أصحاب الأرض و الحق و الوطن .

و هكذا يمكن القول إن هذا التصريح قد بنى معطياته على جملة من المزاعم السياسية المكذوبة على الشعب الفلسطيني ، ثم صدَّقها . ومن هنا نراه لا يورد أي ذكر للشعب الفلسطيني ، مكتفياً بالإشارة إليه بعبارة " الطوائف الأخرى " ! . و من الجدير بالذكر أن الهجرات اليهودية المتتالية، منذ صدور التصريح حتى سنة ١٩٣٩م، لم تستطع أن تغير الواقع الديمغرافي في فلسطين لصالح اليهود ، و من هنا نرى تقرير اللجنة الملكية البريطانية لسنة ١٩٣٩م، وهو التقرير الخاص بمشروع تقسيم فلسطين[٩٠]، يقترح تبادلاً للسكان والأراضي بين الدولتين : العربية و اليهودية ؛ و ذلك لتسهيل مهمة قيام الوطن القومي اليهودي ، كما يقترحه تصريح بلفور ، و لتحويل الوجود الفلسطيني في تلك الدولة إلى مجرد أقلية يمكن أن يشار إليها بعبارة " الطوائف الأخرى" ، كما زعم التصريح من قبل .

و يخالف تصريح بلفور الشرعية الدولية المستقيمة ، سواء تلك التي تتبناها الدول أو تلك التي تصدر عن المنظمات الدولية. و من هنا كان صدور ميثاق عصبة الأمم المتحدة

---

(٩٠) انظر نص هذا التقرير في جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة، إدارة فلسطين : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، ص ٢٠٣ و ما بعدها .

ملغياً للتصريح من الناحية القانونية لأنه يخالف مخالفة صريحة أحكام المادة (٢٠) من ميثاق تلك العصبة ، و التي تقرّ بحق جميع الشعوب ـ و منها الشعب الفلسطيني ـ في الحرية و في تقرير المصير بناء على هذا المبدأ . و يخالف التصريحُ مخالفة صريحة ـ أيضا ـ المنطوق الضمني للاتفاق المعقود بين الشريف حسين والحكومة البريطانية متمثلة في هنري مكماهون ، كما يخالف مخالفة صريحة ما نصّت عليه اتفاقية سايكس بيكو بشأن فلسطين ، و التي تؤكد عدم جواز التصرف المنفرد بشأنها ؛ بما يمكن أن يخلق وقائع جديدة على الأرض . و من هنا فإن التصريح يعتبر لاغياً من الناحية القانونية ، لمخالفته لأحكام القانون الدولي ، و هو باطل من الناحية التعاقدية ؛ لتناقضه مع الاتفاقات السابقة عليه .

و يشتمل التصريح على تناقض واضح ، فيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين ، فهو يعتبرهم طوائف غير يهودية من جهة ، و يمنح أراضيهم أو جزءاً منها ، لغيرهم من جهة أخري ، ثم يشترط ألا يمس تنفيذ التصريح أياً من حقوقهم ، وألا يقع الضرر عليهم . و هذا أمر بالغ التناقض ، و مستحيل الوقوع [٩١] .

٢) الدلالات السياسية المرتبطة بالجانبين : الصهيوني و البريطاني :

من تلك الدلالات أن التصريح يزعم أن منطلقاته تنبع من باب التعاطف الإنساني[٩٢] مع القضية اليهودية ، وهذا مخالف لكل حقائق التصريح ، و لكل المسلكيات البريطانية اللاحقة ، فقد جاء التصريح لتحقيق جملة من الأهداف السياسية ، و قد سبق ذكر بعضها ، هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فإن كل مسلكيات حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين و سياساته تؤكد أن السياسة البريطانية لم تقم على أساس من العطف و الرحمة ؛ لأن القلب الرحيم لا يمكن أن يعذب شعباً صاحب

---

(٩١) على محمد على : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٩٢) بيان نويهض الحوت : المرجع السابق : ، ص٣٨-٣٩ .

أغلبية وحق ثابت ، من أجل مصالح جماعة أخرى لا تشكل سوى أقلية وافدة ، وليس لها أية حقوق مشروعة . و لعلنا في غنى ـ بعد ذلك عن التذكير بأن السياسة ـ عموما لا تقوم على الأخلاق ، بقدر ما تستند إلى حقائق المصالح المتبادلة ، بغض النظر عن مستواها الأخلاقي وحقيقة عدالتها .

و من الجدير بالذكر أن التصريح في صيغته النهائية لا يختلف كثيراً عن النص الصهيوني المقدم من قبل الصهيوني البريطاني دي روتشيلد في الثامن عشر من يوليو سنة ١٩١٧ م [٩٣] ، و أنه يستوحي الفكر الصهيوني و يستجيب لمختلف تياراته بتوازن واضح ، إذ من الملاحظ أن التصريح قد تعمد استخدام مصطلح " الوطن القومي " الذي تبنته الحركة الصهيونية بديلاً عن مصطلح الدولة اليهودية ، حتى لا تثير غضب الدولة العثمانية [٩٤] . كما يلاحظ أن بريطانيا قد أخذت في حسابها وجود جالية كبيرة من اليهود اللاصهيونيين على أرضها ، و الذين كانوا يعارضون فكرة الوطن القومي [٩٥] ، ويكتفون بفكرة المركز الروحي ؛ خوفاً على المستقبل السياسي لليهود في أوطانهم الأم من جهة ، و حرصاً على قيم العدالة و المساواة و عدم الرغبة في التأثير القهري على أهل فلسطين . و من هنا أكدت في نص التصريح على أن المشروع الموافق عليه لا يمس تلك الحقوق ، و لا يؤثر على المواطنة اليهودية في أي من دول العالم [٩٦] ، كما نص على أن ذلك المشروع لا يمس الحقوق المدنية و الدينية لسكان فلسطين [٩٧] . و من الجدير بالذكر أن صيغة التصريح خالفت رغبة الحركة الصهيونية حين لم تنص بشكل صريح على

---

(٩٣) Chaim Weizmann; Treal and Error. . . ,P256

(٩٤) Christopher Sykes , Ibid., P 40

(٩٥) Leonard Stein , P 664

(٩٦) جورج أنطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٧٢–٣٧٣ .

(٩٧) Christopher Sykes , Ibid., PP27-28 صبري جريس : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

جعل فلسطين كاملة وطناً قومياً لليهود [٩٨] ، و قد أغضب هذا الأمر حاييم وايزمن ، وجعله يتلقى التصريح بنوع من البرود و الحزن [٩٩] .

و مهما يكن من أمر ، فإن التصريح عبر عن المشروع الصهيوني بصيغة "وطن قومي لليهود " ، و لم يستخدم الصيغة الصريحة المقترحة في بعض الصياغات الأخرى ، و هي " الدولة اليهودية " ؛ لأن بريطانيا قد استخدمت هذا المصطلح ؛ تمشياً مع السياسة الصهيونية التي لم تكن راغبة في الاصطدام مع الموقف العثماني أو استثارته لمقاومة المشروع في مهده ـ كما سبق بيان ذلك ، و لأنها لم تكن راغبة في إثارة غضب الشعوب العربية [١٠٠] ، ولأن الظروف السياسية الدولية ، في ذلك الحين ، لم تكن مهيأة للإفصاح عن فكرة الدولة . و يضاف إلى ذلك أن الحركة الصهيونية نفسها ، لم تكن مؤهلةً للإعلان عن دولتها ، لا من الناحية السياسية و لا من الناحية العسكرية ، و لا من الناحيتين : الديمغرافية و الاقتصادية ، حيث لم تكن تملك من مقومات البنية التحتية للدولة أي شيء على الإطلاق ، إذ لم تكن تملك الأرض و لا السكان ولا البنية السياسية و الاقتصادية للدولة . و من هنا يمكن القول إن نص التصريح كان يحمل جنين دولة ، و أن هذه الدولة لن تعلن إلا بعد تطوير الوجود اليهودي سياسياً واقتصادياً و ديمغرافياً ، بحيث يمكن إجراء استفتاء ديمقراطي ، يسمح بالإعلان عن قيام الدولة اليهودية المنشودة [١٠١] . و هكذا يتضح لنا كيف أن الدول الاستعمارية تصطنع و تزيف كل شيء ، بدءاً من أبسط المفردات ، ومروراً بالديمقراطيات ، و انتهاء بالدول المصطنعة نفسها .

---

(٩٨) Chaim Weizmann ,P 246 .

(٩٩) Ibid. ,P262 .

(١٠٠) Christopher Sykes, Ibid. P46 .

(١٠١) بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص ٤٧٨ .

و لما كان نص التصريح يحمل فكرة إنشاء كيان استيطاني [١٠٢] صهيوني خالص أو ذي أغلبية يهودية ساحقة ، على أقل تقدير، فإنه يمنح الأقلية اليهودية ـ و لو ضمنياً ـ حق إقصاء بعض أبناء الشعب الفلسطيني ؛ لأن إنشاء الوطن القومي الخالص يتطلب إقصاء العناصر أو الطوائف الأخرى ـ و لو بصورة جزئية ـ و يتجاهل حقوقها ، كما يمنح تلك الأقلية حق إقامة الوطن القومي ، والتمتع بحقوق السيادة السياسية عليه ؛ على اعتبار أن الأقلية اليهودية تمثل شعباً كامل الأهلية القانونية والأحقية السياسية.

و يخالف التصريح الواقع السياسي و الديمغرافي مخالفة صريحة حين ينظر إلى اليهود الذين لم تزد نسبتهم ـ في ذلك الحين ـ عن ٨٪ فقط [١٠٣] ، على أنهم الشعب المتمتع بالأغلبية الساحقة و المالك لجملة من الخصائص العامة المرتبطة بهذه الأرض ارتباطا عضوياً وعرقياً وحضارياً . و بعبارة أخري ، يمكن القول إن التصريح يحرم الفلسطينيين من جنسيتهم التي كانوا ـ ولا زالوا ـ يتمتعون بها على مدار التاريخ ، ويمنح اليهود ـ صراحة ـ حق الاحتفاظ بالجنسية المزدوجة . و من الجدير بالذكر أن هذا التوجه مخالف لروح القوانين الدولية ، التي لا تشجع على ازدواجية الجنسية ، وهو يفضح الطبيعة العنصرية للسياسة البريطانية ، كما يفضح الطبيعة العنصرية للحركة الصهيونية ـ كغيرها من الكيانات الاستيطانية ـ التي تستخف بالحقائق وتتلاعب بالقوانين ، وتصوغها بطريقة سياسية تحقق حاجات الفئات المستهدفة بالهجرة ، في الوقت الذي تحرم فيه المستهدفين بالإقصاء و التهجير من أبسط حقوقهم الطبيعية [١٠٤].

و من الغريب الواقع ، أن التصريح يتحدث عن الحقوق السياسية لليهود المبعثرين في أصقاع الأرض ، على أرض فلسطين ، في الوقت الذي يتنكر فيه للحقوق

---

(١٠٢) بيان نويهض الحوت : المرجع السابق : ص ٢٨ .

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

(١٠٤) جورج جبور : الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ، في إطار نماذج الاستعمار الاستيطاني ، دراسة مقارنة ، ص ٢٨ .

السياسية للشعب العربي الفلسطيني المقيم على أرضه . و هو الأمر الذي يشكل استخفافاً غير مسبوق بإرادة الشعوب . و مع ذلك فإن الأمر الأكثر غرابة واستهجاناً هو أنه يقرر، سلفاً ، أن الأقلية السكانية اليهودية ، التي لم تزد نسبتها ـ في ذلك الحين ـ عن ٨٪ من مجموع السكان ، كما سبق القول ، ستكون صاحبة اليد العليا ، و القادرة على التحكم في مجريات الأمور في فلسطين . و من ثم طلب منها ، و لم يطلب من الأغلبية الساحقة ، ألاّ تستفز الطوائف الأخرى المفترضة (مجازاً) ، باعتبار ما سيكون [١٠٥] .

و يلاحظ أن التصريح يحرص على حماية الامتيازات و المصالح والحقوق السياسية لأبناء الحركة الصهيونية في البلدان التي كانوا يقطنون فيها [١٠٦] ، حيث يحتفظ لهم بجنسياتهم الأصلية ، كما يحتفظ لهم بحق المواطنة الدائمة في تلك البلدان . ولعل بريطانيا أرادت من وراء ذلك ، أن تستبقي اللوبي الصهيوني فاعلاً ومؤثراً ـ وبخاصة في أمريكا و أوربا ـ للحصول على الدعم اليهودي السياسي والمادي ، من جهة ، وأن تطمئن اليهود و أقطاب الحركة الصهيونية على مستقبلهم السياسي ، من جهة أخرى ، و أن تؤكد لهم أن قيام الوطن القومي اليهودي [الدولة اليهودية] لن يمس بوضع اليهود في بريطانيا و لا في غيرها من دول الحلفاء ، و أن هذا المشروع لن يكون خطوة سياسية أو ديمغرافية ، على طريق الخلاص الأوربي من الوجود اليهودي غير المرغوب فيه من بعض القوى السياسية في أوربا [١٠٧] .

و هو يمنح زعماء الحركة الصهيونية صفة سياسية رسمية و اعتبارية ، على أساس أن لهم كيانهم السياسي المعترف به دوليا ، و هو الأمر الذي لم يكن قائما في

---

(١٠٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٤٧٧ .

(١٠٧) من الجدير بالذكر أن هذه القضية كانت مثار جدل كبير بين أقطاب الحركة الصهيونية في ذلك الحين ، و أن تياراً يهودياً قوياً كان يعارض تحويل الديانة اليهودية إلى قومية دينية ذات كيان سياسي خاص ؛ لأن ذلك يخالف المفهوم الديني مخالفة صريحة .

ذلك الحين على الإطلاق . فالتصريح ، الهبة أو الوعد ، صادر من اللورد بلفور ، الممثل ـ بصفته الوظيفية ـ لحكومة بريطانيا ، التي لا تملك أي حق خارج حدود ترابها الوطني ، و هو موجه إلى مواطن بريطاني عادي ، من أثرياء اليهود ، هو دي روتشلد ، و لم تكن له أية صفة تمثيلية [١٠٨] أو رسمية ، كما لم تكن له أية علاقة بفلسطين سوى ما يربطه بالحركة الصهيونية وأنشطتها و أهدافها غير المشروعة . و من هنا لم يكن له أي حق قانوني في تلقي هذا التصريح ، كما لم يكن له حق التشبث بما ورد فيه . و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا التصريح مجرد ورقة بريطانية داخلية ، وأنه لم يتمتع يوما بأية قيمة قانونية في المفهوم الدولي الحقيقي . و من هنا نستطيع القول إن هذا التصريح ليس اتفاقا أو معاهدة دولية ، و أنه مجرد كتاب ، كأي كتاب آخر يصدر عن وزارة الخارجية البريطانية لتبعث به إلى أحد رعاياها . و إذا أدركنا هذا علمنا مدى المسؤولية ـ الجريمة التي تقع على عاتق بريطانيا " العظمى " ! في مأساة فلسطين ، علما بأن بريطانيا ظلت متمسكة بتنفيذه ، و تتعهد بالمحافظة عليه ، حتى نهاية فترة انتدابها على فلسطين .

و يشتمل التصريح ـ بصورة غير مباشرة ـ على بذرة جنينية لفكرة تقسيم فلسطين لصالح اليهود ؛ لأن مفهوم النص أن الوطن القومي اليهودي الموعود سيكون في جزء من أرض فلسطين ، و ليس على كل أرض فلسطين [١٠٩] . و مع ذلك وجد من فسر نص التصريح من خلال مذكرات وايزمن ، أو من خلال تصريحات بعض المسؤولين البريطانيين ، و من ثم قال بأنه يعطي كامل فلسطين للحركة الصهيونية ؛ لتقيم عليها دولة يهودية خالصة [١١٠] .

---

(١٠٨) جمال قدورة : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

(١١٠) شفيق الرشيدات : فلسطين : تاريخا و عبرة و مصيرا ، ص ٥٣ .

و إذا عدنا للفكرة السابقة بشيء من التفصيل ، فإننا نلاحظ أن السياسة البريطانية كانت تصب في إطار التقسيم ، فالتصريح لم يبين حدود الوطن القومي المستهدف ، ولم يستخدم أسلوب الاستغراق و الشمول لكل أرض فلسطين ، حيث جعل الوطن القومي اليهودي في فلسطين (**in Palestine**) ، ولم يجعله على كل أرض فلسطين. و مما لا شك فيه أن هذه الصيغة تتحقق بإقامة الكيان الصهيوني على أي جزء من الأراضي الفلسطينية مهما كان صغيراً .

و قد أكدت بريطانيا هذا التوجه التقسيمي في أكثر من موقف ، حيث بينت في كتابها الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢ م ، أن التصريح لم يهدف إلى تهويد فلسطين بصورة كلية ، و لم يهدف إلى إقصاء الفلسطينيين ، أو القضاء على الكيان الفلسطيني [١١١] ، و إنما أراد فقط أن يمنح اليهود حقوق المواطنة على أرض فلسطين ، بحيث تكون لهم وطناً قومياً ، في الحدود التي لا تلحق الضرر بالفلسطينيين ، و لا بالاقتصاد الفلسطيني . وقد تأكد هذا التوجه ـ أيضا ـ حين وافقت بريطانيا على إنشاء المملكة الأردنية في نفس العام ، كما تأكد حين حاولت بريطانيا أن تفرض مشروع التقسيم ، الذي اقترحته اللجنة الملكية البريطانية ، سنة ١٩٣٧ م [١١٢] . و استمر الوقف البريطاني على ذلك إلى أن صدر قرار التقسيم الشهير (١٨١) سنة ١٩٤٧ م ، على هذا الأساس .

و يضع التصريح على عاتق بريطانيا جزءاً كبيراً من مهمة تنفيذ هذا التصريح ، ومساعدة الحركة الصهيونية على تحقيق أحلامها . وهو الأمر الذي يلوّح باستمرار محافظة بريطانيا على علاقاتها الوديّة المتميزة مع الحركة الصهيونية . و في هذا التلويح تشجيع ضمني للحركة الصهيونية للوعي بأهداف بريطانيا و مصالحها في كل من الشرق الأوسط و أوربا على حد سواء . وبعبارة أخرى ، يمكن القول إن هذا التصريح يريد من

---

(١١١) بيان نويهض الحوت : فلسطين . . ، ص ٤٧٦ – ٤٧٧.

(١١٢) Walter Laqueur , Ibid. , P 54 - 65

اللوبي الصهيوني أن يدعم بماله وقدراته الاقتصادية و الإعلامية و السياسية المصالح البريطانية ، و يسهل لها مهمة التأثير في سياسات الدول الحليفة والمنافسة على السواء.

و هو يقوم على فهم أبعاد الحركة الصهيونية ، على اعتبار أنها حركة لا دينية أصلا ، وأنها توظف الدين فقط، من أجل تحقيق مصالحها السياسية . ومن هنا نجد التصريح يبين صراحة أنه يريد أن يخلق بعثا قوميا لليهود ، و هو هنا يستغل مؤثرات حركة المد القومي الأوربي ، و يلبي مطالب الخلاص اليهودي من خلال بعث قومية متميزة لهم ، شأنهم في ذلك شأن باقي شعوب الأرض . ومن ثم فإنه لم يتحدث عن دولة دينية ذات نقاء عرقي أو عقائدي أو سياسي ؛ لأنه يعلم أن أسطورة النقاء العرقي المزعومة لا وجود لها على أرض الواقع . وحسبنا أن نذكر ـ هنا ـ أن الفئات الصهيونية المستهدفة في ذلك الحين ، وإلى الآن ، كانت مختلفة اللون و الجنس و اللغة و المذهب الديني والانتماء السياسي و الوطن الأم ، و لكنها تلتقي مع الإرادة الاستعمارية في مصالح مشتركة توحد بينها وتعضد من ترابطها ؛ و لأنه يعلم أن زعماء الحركة الصهيونية لم يكونوا يحرصون على النقاء العقائدي ، في ذلك الحين . و من الجدير بالذكر أن الخلافات العرقية والعقائدية ، وتلك المرتبطة بأصول الفكر السياسي ظلت تضرب في جذور المجتمع الصهيوني ، منذ ذلك الحين ، و إلى يومنا هذا أيضا . وهذا أمر واضح للعيان ، بحيث لا يحتاج إلى أي دليل أو برهان .

و لم يذكر التصريح شيئاً عن الحق التاريخي اليهودي المزعوم ؛ لأن هذه الذريعة لم تكن مستندة على عقيدة سياسية مؤهلة للقبول الدولي ، رغم أنها قد وردت في أصل المخطط الاستيطاني الصهيوني، بطريقة جدية أحياناً ، ولأهداف وظيفية أحياناً أخرى، فقد كان قادة الحركة الصهيونية حائرين بين عدة مناطق ، فيما يتعلق بقضية اختيار الأرض التي ستقام عليها الدولة القومية ، كما سبق بيان ذلك ، و ذلك تبعا لتعدد البؤر الساخنة في العالم ، أو تلك التي تطمح الدول الاستعمارية ـ و بخاصة بريطانيا و فرنسا

و أمريكا ـ في اتخاذها مراكز أو محاور رئيسية يتم من خلالها صياغة أو إعادة صياغة التوازن الدولي ، بما يحقق مصالح هذه الدولة أو تلك . و هكذا يمكن القول إن بريطانيا كانت تدرك تماماً أن أصحاب المنحة ، من الصهاينة و اليهود ، لا علاقة لهم بهذه الأرض ، على وجه اليقين ، لا من الناحية القومية و لا من الناحية السياسية ، ولا من الناحية العرقية ؛ لأنهم ليسوا أحفاد بني إسرائيل ، وليسوا من أبناء هذا البلد ، و لم يكن لهم أية صفة أخلاقية أو قانونية يمكن أن يعتد بها . ومع ذلك أرادت السياسة الإمبريالية أن تسير الأمور في هذا الاتجاه ، و لا غضاضة ـ بعد ذلك ، كما يفكرون ويتصرفون ـ إذا وقع الظلم السياسي و الأخلاقي و العنصري ، و تغلب التعصب الأيديولوجي ، على حساب الأمم المستعمرة و الشعوب المغلوب على أمرها .

و من الملاحظ أن التصريح قد أغفل ـ عن عمد ـ الحديث عن عدد من الجوانب بالغة الأهمية ، و منها إغفاله للحديث عن الآلية التي ستدعم بها بريطانيا ذلك المشروع ، و إغفاله التعرض لمشروع السيادة على فلسطين ؛ لأنها كانت موضع خلاف بين دول الحلفاء ، و خوفاً من إثارة غضب تلك الدول ، و بخاصة فرنسا ، و إغفاله الحديث عن الجوانب القانونية ؛ ليقين بريطانيا أنها تتصرف بشكل مخالف لكل الشرائع الدولية ، إلى غير ذلك من الجوانب ذات الصلة بالنواحي الفنية و السياسية و الإدارية و التنظيمية .

* * * * *

و في ختام هذا البحث ، لا بد من القول إن ردَّ القوى السياسية العربية والفلسطينية ، على التصريح قد تأخر ـ نسبياً ـ و لمدة تزيد عن عامين من بداية الاحتلال البريطاني و ترجع أسباب ذلك إلى إنكار بريطانيا و عدم اعترافها المبكر بمصادقتها على التصريح ، و حرصها الدائب على طمأنة القيادة العربية و تأكيدها لحسن نواياها ، و إلى نجاح الحكم العسكري البريطاني في فلسطين في إخفاء التصريح

عن أهل فلسطين [١١٣] . و يضاف إلى ذلك أن أقطاب الحركة الصهيونية قد حاولوا إخفاء حقيقة نواياهم [١١٤] . و يمكن القول بعبارة أخرى ،إن بريطانيا قد حاولت امتصاص الغضب و التوتر السياسي العربي و الفلسطيني بمزيد من المخادعة و التلون السياسي ، في حين ادعت الحركة الصهيونية أنها لا تهدف إلى أكثر من توفير الملجأ الآمن للشعب اليهودي المضطهد ، و أنها لم تسعَ قط إلى اغتصاب أرض فلسطين من أصحابها العرب . و مهما يكن من أمر فقد عبر أهل فلسطين عن استيائها الشديد من الموقف البريطاني عامة و من تصريح بلفور على وجه الخصوص ، بمختلف أشكال النضال السياسي في جميع المناسبات الوطنية ، و منذ أن تناهى إلى أسماعهم نبأ ذلك التصريح [١١٥] . ومهما يكن من أمر فإن الحكومة البريطانية قد شرعت في التنفيذ الفوري للتصريح ، إذ ما أن دخلت قواتها فلسطين (بشرعية دولية محكومة بالمصالح الاستعمارية) في ١٩١٧/١٢/٩م ، حتى بدأت تقدم التسهيلات للحركة الصهيونية ، ومن ذلك أنها سمحت لها أن تنقل مركز نشاطها السياسي إلى قلب فلسطين ، حيث وصلت البعثة الصهيونية إلى البلاد في ١٩١٨/٤/٤م . و بدأ حاييم وايزمن يخطط لقيام الدولة الصهيونية على أرض الواقع بشكل مباشر [١١٦] ، و بعيداً عن الأضواء ، و عما يمكن أن يثير حفيظة القوى السياسية العربية في فلسطين و بلاد الشام . و بناء على هذا التوجه أخذ وايزمن يدغدغ أحلام زعماء العرب والفلسطينيين ، في ذلك الحين ، وعلى

---

(١١٣) Foreign Office to Wingate , 13 February 1918.Clayton Papers , Durham University, 14815.No,218

(١١٤) Chaim Weizmann;Ibid , P 309 .

(١١٥) لمزيد من التفصيل انظر : Sami Hadawi ; robert,John ,Vol 1 , PP 156- 157. J . M .Jeffries ,Palestine: the Reality ; P316-317 . Chaim Weizmann;Ibid , P 325 . و انظر كذلك شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخاً و عبرة و مصيراً ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص ١٦٤ و ما بعدها .

(١١٦) أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٥٠ .

رأسهم الشريف حسين وأولاده ، بكل مكر ودهاء ، بالدعوة إلى إقامة دولة عربية مستقلة في كل من دمشق و بغداد و مكة [١١٧] ، كما أخذ يطمئن العرب والفلسطينيين من خلال إخفاء النوايا الحقيقية للحركة الصهيونية [١١٨] . وبناء على هذه السياسة ـ أيضا ـ سمحت بريطانيا للحركة الصهيونية أن ترسل وفدا مستقلا ـ أسوة بالدول المستقلة والقوى السياسية الكبرى ـ إلى مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس بتاريخ ١٩١٩/١/١٨م. في حين حرمت الفلسطينيين من ممارسة هذا الحق .

التوصيات

و إذا كانت هذه الدراسة قد كشفت عن جوانب مهمة تتعلق بأهداف التصريح و بمضامينه السياسية ، فإنها قد لفتت الأنظار إلى ضرورة القيام بعدد من الدراسات الأخرى المتعلقة بذات الموضوع ، و منها ضرورة دراسة تطور العلاقات الصهيونية الأوربية و أثرها على تطور صياغة التصريح . و ضرورة دراسة الموقف الفلسطيني من التصريح للوقوف على أسباب تأخر المقاومة الفلسطينية و العربية له و تتبع مراحل و آليات المقاومة فيما بعد ، و الحذر من دهاء السياسات الاستعمارية . و ضرورة الوقوف على الجذور الدينية في الفكرين : الصهيوني و الغربي ، و علاقتها بتطور فكرة الوطن القومي اليهودي إلى أن انتهى الأمر بمصادقة بريطانيا على التصريح بصورته النهائية .

---

(١١٧). Chaim Weizmann;Ibid , P 309 . وانظر عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب و الصهيونية ، ص ٢٩ .

(١١٨) و يبدو أن أكاذيب الحركة الصهيونية قد انطلت على كثير من العرب في ذلك الحين ، سواء كانوا من العامة أم من المثقفين . لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع ، انظر : . عواطف عبد الرحمن : دراسات في الصحافة المصرية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٧ م .

الملحق : نص تصريح بلفور بلغته الأصلية مذيلاً بالترجمة العربية للنص

The Balfour declaration

November 2nd , 1917

A letter by Arthur James lord Balfour [1848- 1930] to lord Rothschild

Foreign office Novmber 2nd 1917

Dear lord Rothschild, I have much pleasure in conveying to you on behalf of his Majesty's government the following declaration of sympathy With Jewish Zionist aspirations which has been submitted to' and approved by' the Cabinet.

His Majesty's government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country.

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours sincerely,

ARTHUR JAMES BALFOUR.

النص العربي لتصريح بلفور "

هذا النص عبارة عن رسالة بعث بها اللورد آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨- ١٩٣٠) إلى اللورد روتشلد [١١٩] .

الثاني من نوفمبر ١٩١٧ م

" عزيزي اللورد روتشلد

يسرني كثيراً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته [الملك البريطاني] التصريح التالي ، الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية ، و قد عرض على الوزارة و أقرته .

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، و ستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، و لا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى .

و سأكون شاكرا إذا رفعتم هذا التصريح إلى علم الاتحاد الصهيوني " [١٢٠] .

صديقك المخلص .

آرثر جيمس بلفور .

---

(١١٩) ثري يهودي بريطاني الجنسية و مقيم بوطنه بريطانيا حين صدور التصريح ، و هو من أقطاب الحركة الصهيونية في أوربا .

(١٢٠) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى (١٩١٥ – ١٩٤٦ م) ، ص ٨٧ .

ثبت المصادر و المراجع

أولاً ـ المصادر و المراجع العربية

- إبراهيم رضوان الجندي : سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين (١٩٢٢ – ١٩٣٩ م) ، منشورات دار الكرمل ، عمان ، ط ١، ١٩٨٦ م .
- أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- إميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- بيان نويهض الحوت : القيادات و المؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ – ١٩٤٨ م) ، دار الأسوار ، عكا ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٣ –٧٤ .
- بيان نويهض الحوت : فلسطين القضية ـ الشعب ـ الحضارة ، دار الاستقلال ، بيروت ١٩٩١ م .
- تيسير جبارة : دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة، إدارة فلسطين : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى (١٩١٥ – ١٩٤٦ م).
- جمال قدورة : الأحزاب السياسية الفلسطينية ، ١٩٢٩ –١٩٣٦م .
- جورج أنطوميوس : يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب الفكرية ، ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- جورج جبور : الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ، في إطار نماذج الاستعمار الاستيطاني ، دراسة مقارنة .
- حافظ وهبة : خمسون عاماً في جزيرة العرب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٠ م .
- حامد سلطان ، الدكتور : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- حبيب قهوجي (إشراف) استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

- حسن مصطفى الباش : القدس بين رؤيتين ، هل تحسم النبوءات الصراع ، دار قتيبة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- حلمي محروس إسماعيل ، الدكتور : تاريخ العرب الحديث ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م . .
- خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي و صداه ، ١٩٠٨ م – ١٩١٨م.
- شفيق الرشيدات : فلسطين : تاريخا و عبرة و مصيرا .
- صبري جريس : تاريخ الصهيونية ، القدس ، ١٩٨٧ م ، جـ ١ .
- عبد الفتاح محمد العويسي ، الدكتور : جذور القضية الفلسطينية (١٧٩٩ – ١٩٢٢) دار الحسن للطباعة و النشر ، الخليل ط ٢، ١٩٩٢ م .
- عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١٠ ، ١٩٩٠ م . .
- عدنان أبو عودة : إشكاليات السلام في الشرق الأوسط ، رؤية من الداخل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- على محمد علي : الوعد الباطل (وعد بلفور) ، سلسلة كتب قومية ، العدد ١٨٨، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة .
- عواطف عبد الرحمن : دراسات في الصحافة المصرية المعاصرة ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٧ م .
- عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب و الصهيونية ، يافا ، ١٩٣٧ م .
- كامل خلة ، الكتور : : فلسطين و الانتداب البريطاني ، المنشأة العامة للنشر و التوزيع ، طرابلس ليبيا ط ٢، ١٩٨٢ م .

– محمد عبد الرؤوف سليم ، الدكتور : نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين ، منذ نشأتها و حتى قيام دولة إسرائيل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٢ م .

– محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، جـ١ ، صيدا ، ١٩٥٩ .

– محمد عكاشة ، الدكتور : تصريح بلفور ، الجريمة التاريخية الكبرى، مجلة سبأ، العدد الخامس ، ١٩٨٩ .

– محمود حسن منسي : تصريح بلفور ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

ثانياً ـ المصادر و المراجع الأجنبية :

- Chaim Weizmann; Treal and Error : The Autobiography of Chaim Weizmann New York ,Harper and Row ,1966.
- Charles Webster ; The Art and Practice of Diplomacy of America, 1964 ,.
- Christopher Sykes , Cross Roads to Israel . ;Palestine from Balfour to Bevan, London 1965 ,P27 .
- Foreign Office to Wingate , 13 February 1918.Clayton Papers , Durham University.
- Henry Cattan ; Palestine and Inter national Law . The Legal Aspects of the Arab Israeli Conflict.(London ,2nd Edition.
- Israel Cohen, The Zionist movement, (New York, Zionist Organization
- Leonard Stein , The Balfour Declaration , London ,1961 ,.
- Lloyd George ;The Truth a bout the peace . Vol 2.
- Reoben Fink, America and Palestine (new York; American Zionist Emergency Council, 1944 ,.
- Walter Laqueur (Editor); The Israel –Arab Reader ,.